مجلة شهرية
Issue No: 146 عدد:
October 2019 شهر تشرين أوّل

نــــــور يسوع المسيح المســــيح
Φ Ω Σ العالم XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

القديس بُورفيريوس الرّائي

منسك القديس بُورفيريوس

إسقيط كافسوكاليفيا التابع لدير اللافرا الكبير

محتويات العدد

2	إن أردتَ أن تنتصر
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	حياة النُسك
5	القديس بُورفيريوس
7	-------
8	-------
9	-------
10	-------
11	-------
11	-------
12	ظهور عجيب للقديس ..
13	من أقوال القديس ...
14	مناجاة الراهب الصغير
15	--------
16	الشيخ سرجيوس
18	مختارات
19	هل من نعمة خارج الكنيسة
20	الأنا
21	عظمة الكاهن
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

إذا **أدَنّا** نفقد كل شيء. في النهاية، انظروا إلى ما هو الأمر عليه ببساطة. بادئ ذي بدء، يجب أن نكون في الحالة الصحيحة لتلاوة صلاة «أبانا». فيها نقول «**اترك لنا... كما نترك نحن...**» انتقدَني أحدهم ولم أسامحه، هذا يعني أنني أكذب عندما أصلي «أبانا...» نعم، لقد تعبتُ وصليتُ لكنني لا أريد أن أسامح. إذًا أنا تعبتُ سُدًى. البراءة تشدّ الروح القدس ليسكن في قلوبنا.

عندما ننتقم من الناس نوقّع معاهدة سلام مع **الشياطين**. وعندما تحاول تحمّل إساءات الآخرين، عندها فقط أنت تحاول أن تكافح **ضد الأرواح الشريرة**. عندما تحاول ألّا تُحْزِنَ الناس، فإن الروح القدس يساعدك ويمنحك الحكمة وينيرك.

عندما تبدأ بالصلاة لا يكن عندك شيئ ضد أي أحد، لأن هذا هو التقدم الأعظم. ولكن عندما تتذكر الأخطاء أثناء الصلاة يكون الأمر صعبًا للغاية.

فقط سيحصل الذين أصبحوا **أغنياء بالتواضع** على الكثير. وكلُّ ما يُعمَل بالتواضع لا يسبب خلافًا.

لو كان هناك رهبان كثيرون يقضون حياتهم بطريقة إلهية في الأديار، يُصَلُّون ليلًا ونهارًا، فإن كل شيء سوف يصير أفضل. إذا كان هناك مسيحيون في العالم يتوبون ويحفظون أنفسهم من إدانة خدام الكنيسة، فإن الله الصالح **سيربط أعمال الشيطان** — في آخر المطاف، نهاية العالم بين يدي الله.

من المهم جدًا أن تحفظ عقلك من كل **ما هو خطيئة**. كل من يتوخى الحذر من الخطايا الصغيرة التي بالكاد تُفهَم أهميتها، لن ينتهي به الأمر إلى **خوض معركة مع الخطايا الكبيرة**، لأن الله يحرسه ويرى جهاده وتواضعه.

إن محادثة الأفكار النجسة تثير الأهواء، وحتى إذا كنتَ لا توافق عليها، فسوف تعذبّك لأيام كاملة وحتى لأسابيع. إذ تتحادث مع هذه الأفكار، **تحدّث الشيطان مباشرة**. فمن ثَمّ يبتعد الروح القدس، لأنك لم ترِد أن تجاهد. لكي يساعدك الروح القدس مجددًا، عليك أن تضع بداية طيبة من **التوبة** في قدر كبير من التواضع، وبقدر ما تستطيع، لا تُدِنْ أحدًا، وتمنَّ الخلاص للجميع، وخاصة اعتبر الجميع أفضل منك.

الروح القدس رقيق جدًا ومرهَف. إن الانغماس في فكرة إدانة واحدة وموافقتها، يكفيان لجعل الروح القدس يرحل.

التمييز يُكتَسَب بالتواضع. إن لم تعمل على اقتناء التواضع سوف تسقط أمام كل خطر.

إن أردتَ أن تنتصر فاعمِلِ التالي: كُنْ أكثر صرامةً مع جسدك وارحم أخاك. لنستفِد من الرحمة لإصلاح الآخرين، ولا نعيّر أحدًا، بل لنضع ذواتنا في مكانهم.

الصرامة مسموحة إلى أن تصير قاتلة للمحبة. هناك أنفس حساسة لا تستطيع احتمال الكلمات السيئة. إنها تُبرعم وتنمو عندما تكون محاطة بالجمال واللطف، والكلمات الحسنة والوداعة.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة إعادة رفات القديس سابا الى ديره العامر

يقول **سليمان الحكيم**: «أَمَّا الأبرار فَسَيَحْيَوْنَ إِلَى الأَبَدِ، وَعِنْدَ الرَّبِّ ثَوَابُهُمْ، وَلَهُمْ عِنَايَةٌ مِنْ لَدُنِ الْعَلِيِّ. فَلِذلِكَ سَيَنَالُونَ مُلْكَ البَهاءِ، وَتَاجَ الْجَمَالِ مِنْ يَدِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ يَسْتُرُهُمْ بِيَمِينِهِ وَبِذِرَاعِهِ يَقِيهِم» (حكمة٥ :١٥ ــ ١٦)

الآباء الأَجلّاء، الأخوة الأحباء بالمسيح، الزوار الحسنو العبادة، والحضور الكريم.

إن النعمة المقدسة **لأبينا البار المتوشح بالله سابا** قد جمعتنا اليوم لكي نُعيِّد اليوم لاستعادة **رفات القديس سابا** غير البالية إلى مكان وموضع تنسُّكه في البريّة.

إن **ربنا يسوع المسيح** الذي هو **النور والحياة** «الَّذِي وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بطرس ١ : ٣) قد أظهر وأنار مجده على الأبرار أي قديسيه الذين عاشوا على مدى الدهور.

لقد استبان **أبونا البار سابا** متفق الرأي لأبرار الله، فقد سلك على نفس منوال سِيَرِ القديسين، والذي نال مُلكَ البهاء وتاج الجمال من يد الرب. «فمُلكُ البهاء» هو ملكوت السماوات، وأما تاجُ الجمال فهو إكليلُ مجدِ الربِ البهيّ، أي مكافأة الأبرار القديسين. كما يقول **القديس بطرس الرسول** «وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ (أي **المسيح**) تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى». (١ بطرس ٥: ٤) وأيضًا بحسب **القديس النبي إشعياء**:«فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ رَبُّ الْجُنُودِ إِكْلِيلَ جَمَالٍ وَتَاجَ بَهَاءٍ لِبَقِيَّةِ شَعْبِهِ». (إش ٢٨ :٥)

ويذكر **القديس بولس الرسول** مكافأة الأبرار من قِبَلِ الرب قائلًا «قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا.» (٢ تيم ٤: ٧). ويفسر **القديس يوحنا الذهبي الفم** أقوال **القديس بولس الرسول** هذه، بأن البِرَّ يعني كل الفضائل معًا. أي حفظ جميع وصايا الربّ، وأما البارُّ الذي يترجى ويرغب بظهور الربّ في حضوره الثاني المجيد، فإنه سيفعل كل شيءٍ قبل مجيء الرب الثاني الرهيب. ويدعم **القديس يوحنا الذهبي الفم** كلامه بقول الربّ: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً». (يوحنا ١٤ :٢٣).

ويفسر **القديس كيرلّس الاسكندري** قول الرب هذا إذ يقول: «عندما يسكن فينا مخلصنا يسوع المسيح من خلال الروح القدس، فإنه حتمًا يسكن معه ذلك الذي وَلَدَهُ، الآب الذي له نفس الروح أي روح المسيح». وبكلام آخر فإنَّ **أبانا البار سابا** قد أحبَّ المسيح، حتى أنَّ ابنَ الله أي كلمته المساوي للآب في الجوهر مع الروح القدس، أي الألوهة الواحدة للثالوث القدوس، قد سكنت في قلبه. لهذا فإن **القديس سابا** قد أدرك جيدًا أن جسدهُ أضحى هيكلًا للروح القدس، كما يؤكد هذا **القديس الحكيم بولس** الذي يقول:«أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ » (١ كور ٦:١٩). لهذا فإن مرنم الكنيسة يمدَحُهُ قائلًا: «لقد قضيت حياتك على الأرض في حسن العبادة يا أبانا المغبوط سابا المتأله اللُّبّ. فأصبحت إناءً للروح القدس طاهرًا. ينير المتقدمين إليه عن إيمانٍ. فاطلب إلى سيِّدك أن ينير نفوسنا نحن ممتدحيك».

لهذا فإن **المغبوط أبانا البار سابا**، يمنح الاستنارة الإلهية ونعمة الروح القدس. وذلك من خلال سراجه أي رفاته المقدسة غير البالية التي تشهد دومًا على **تجلي المسيح وقيامته المقدسة** «نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ» (عبر ١٢ :٢).

لذلك فإن الصلاة المستمرة ليست فقط تلك التي يمارسها الرهبان هنا، بل أيضًا يمارسها الذين يرغبون في خلاص نفوسهم، والتي تهدف لهذا السبب عينه أي التجلي في المسيح والقيامة. عدا عن ذلك فإن **أبانا البار سابا** يوضح ويُبين لنا من خلال نموذج حياته الفائدة والمنفعة التي تصير لنا من خلال **المحن والتجارب**، وتأديب الرب كما يقول بولس الرسول نقلًا عن الحكيم سليمان «وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ: «يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ،

وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». (عبر ١٢: ٥-٦) (أمثال ٣: ١١-١٢).

ومثل هؤلاء العاملين بتأديب الرب وتعليمهِ الإخوة الآباء الأجلاء، أعضاء أخوية القبر المقدس. أي الرهبان الذين يتنسكون هنا مع أبيهم الروحي، تحت كنف وستر **سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم الفائقة البركة** ، وتحت إرشاد القيادة العقلية لمن نكرمه اليوم معلم الصحراء **أبونا البار سابا المتقدس** الذي غادر الأرضيات كلّها كما يقول المرنم: «وشارك الملائكة بالروح مع وجوده في العالم بالجسد. وأمات ما حضر من أهواءِ الجسد. فصار خادمًا للثالوث القدوس. ومن ثم أصبح يشفي بالنعمة أسقام المرضى. ويطرد الأرواح الشريرة بكلمةٍ. فتشفع إلى المسيح الإله. طالبًا أن يهب غفران الزلات للمُعَيّدين بلهفةٍ لتذكارك المقدس». آمين

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

حياة النُّسك في حياة الرهبنة عند القديس باسيليوس الكبير

❁ وسُئِل القديس :«عن شعور الشخص الذي يجب انتهاره عن سوء فعله ؟!» .

فأجاب قائلًا:

✝ – كما يليق بابنٍ مريض شديد الرغبة في الصحة والعافية، وأبوه طبيبٌ جيِّد.

✝ – فيجب أن يتعالج لدى والده، ولا يكره مُداوته بأدوية كريهة (مرّة) لمعرفته لمحبته، وجودة طِبِّه، ولتألّمه من المرض، ولكراهيّته له، ورغبته الشديدة للعافية (ولا يتضايق من التأديب).

❁ وسُئِل القديس باسيليوس:«عن رأيه في الخاطىء الذي يحزن من الذي يؤدّبه ؟!» .

فأجاب:

✝ – هو شخص **غير حكيم**، لا يعرف الخطر الداهم للخاطىء، ولا سيما المُخطىء الى الله، ولا يعرف مقدار الربح العظيم الذي سيحصل عليه من التوبة، ولا يُصَدِّق القائل: «إنَّ من يحب ابنه يُؤدّبه» (أم ٢٤:١٢ ، عب ٦:١٢).

«إنَّ البار يُعلِّمني برحمة ويبكّتني» (مز ١٤٠).

✝ – والذي يسلك بهذا الأسلوب (التضايق من التأديب) يخسر الأخوة (ويخسر نفسه بالطبع).

❁ وسُئِل القديس باسيليوس:«ما هي دينونة الذي يحامي عن المُخطىء ويُخاصم الناس معه ؟!» .

فأجاب:

✝ – إنَّ دينونته ثقيلة، أكثر من الذي يُعثِر غيره، لأنه يمنع المُخطِىء من أن يتوب في خطيته، ويعرف غيره شرّه .

✝ – وينبغي أن يُخرَج من الدير، كقول الربّ: «فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلاَ يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ.» (متى ٥:٢٩). (كلام الربّ «رمزي» فالعين هنا إشارة إلى الصديق الشرير، الذي يجب وبسرعة قطع كل علاقة به، حتى لا يسقط الإنسان بعثراته، وحتى ولو كان غاليًا عليه كعينيه، لأنه ينبغي إبعاد الخبيث باسرع ما يمكن.

❁ وسُئِل القديس باسيليوس:«كيف نقبل الشخص الذي يتوب جيّدًا ؟!» .

فأجاب:

✝ – كما قال الكتاي: إنه يدعو أصدقاءَه وجيرانه ويقول: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِدًا مِنْهَا، أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَيَذْهَبَ لأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحًا، وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمُ: افْرَحُوا مَعِي، لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ!.» (لو١٥:٤-٦).

❁ وسُئِل :«ماذا نصنع مع الذي لا يتوب ؟!» .

فأجاب:

✝ – نصنع كما قال **الربّ يسوع**: «وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ.» (متى ١٨:١٧).

وعلّمنا الرسول قائلًا: «ثُمَّ نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا.» (٢ تسالونيكي ٣:٦).

القدّيس بُورفيريوس الرَّائِي (١٩٠٦-١٩٩١)

أُعلنت قداسته من قبل بطريركيّة القسطنطينية عام ٢٠١٣

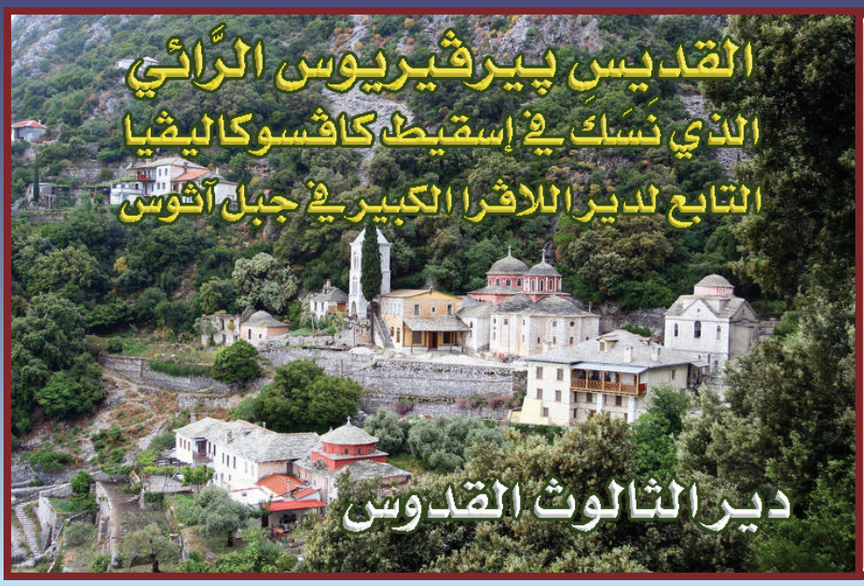

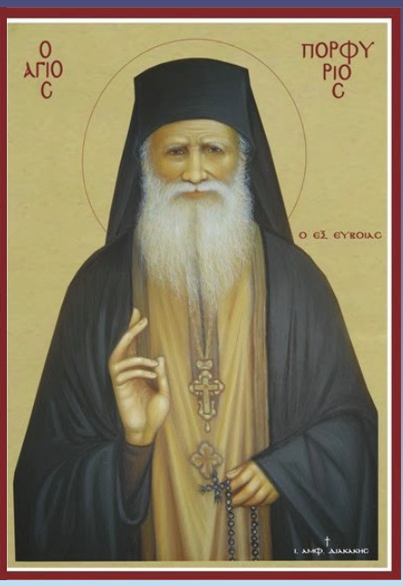

وُلِدَ **القدّيس بورفيريوس** في اليوم السّابع من شباط ١٩٠٦، في قرية القدّيس يوحنّا كاريستيا، قرب أليفيري، في مقاطعة **إيفيا**. كان والداه من المزارعين الفقراء الأتقياء، **وكان اسم والده ليونيداس بيراكتاريس ووالدته هيليني**. أُعطي **القدّيس بورفيريوس** في المعمودية اسم **إيفانجيلوس**، وهو الولد الرّابع من عائلة مؤلفة من خمسة أولاد، لكن أخته الكبرى رقدت في سن مبكرة. رغب والده بالحياة الرّهبانية، لكنّه لم يصر راهبًا، بل تزوّج وكان يرتل في الكنيسة. لكنّ الفقر أجبر **ليونيداس** على **الهجرة إلى الولايات المتحدة** حيث عمل في بناء **مضيق باناما**.

طفولته:

حاول **إيفانجيلوس** أن يُحصِّل بعض العلم في مدرسة الضيعة ولكنّه تركها بعد سنة، إذ كان الأُستاذ غائبًا معظم الأحيان بسبب المرض ولم يكن الأولاد يستفيدون الكثير. أخذ إيفانجيلوس يعمل في مزرعة العائلة وهو في الثامنة من العمر، مما سمح له بقراءة كتاب «**القدّيس يوحنّا الكوخي**» متهجِّئًا الكلمات أثناء حراسته الخراف في الجبال. ومنذ ذلك الحين، اضطرمت نفسه غيرةً للرحيل كي يصبح راهبًا دون أن يعرف أي شيء عن الرّهبنة. كان والده قد لقّنه **البراكليسي لوالدة الإله**، وكلّ ما يتعلق بالإيمان على قدر استطاعته. نما الطفل بسرعة وكان يبدو أكبر من عمره. منذ صغره كان جِدِّيًا، نشيطًا ومثابرًا. رغم صغر سنّ إيفانجيلوس، أخذ يعمل في **منجم للفحم** ومن هناك انتقل للعمل في محل للبقالة في خلكيذا في باروس، حيث كان يوجد ولدان آخران، وكانا متّفقين على تقاسم العمل بينهما. إلّا أنّه عندما جاء إيفانجيلوس، أخذا يوكلان إليه كلّ الأعمال ، كان يقبل ويتمّمها بفرح ولم يكن يعاملهما بخبث.

ذات يوم عندما كان يَكْنِسُ المخزن وجد حبّات من القهوة الخضراء المرميّة. فانحنى وجمعها في كفّه وذهب ووضعها في كيس القهوة. وكان صاحب المحل جالسًا في مكتبه المحاط بالزجاج من كافة الجهات، فرآه وناداه ودعا الولدين الآخرَين وهنّأه أمامهما. ومنذ ذلك الحين طلب منهم توزيع الأعمال بينهم. وكان سيّدُ إيفانجيلوس يحبّه كثيرًا ويدعوه إلى بيته.

بعد عامين انتقل إلى محل بقالة آخر لأحد أقاربه في «بيرية» فيه زاوية لمطعم. هناك أتى **شيخان** ليأكلا في المحل وتحدّثا عن **الجبل المقدس**. كان أحدهما قد ذهب إلى الجبل ليتنسّك، لكنه رجع وندم كثيرًا. بعد مغادرتهما، تحمّس إيفانجيلوس لفكرة الذهاب إلى الجبل المقدس والتشبّه بالقدّيس يوحنّا الكوخي. بعد يومين عاد الشيخ الّذي ذهب إلى الجبل المقدّس، فسأله إيفانجيلوس عن المكان ولكنّ الشيخ لم يجبه بشيء ورحل. عاد الشيخ في وقت لاحق، وبالخفية أخبره عن الجبل وشرح له كلّ شيء.

الرّحلة إلى الجبل المقدس:

أُضرم قلب الفتى إيفانجيلوس محبّةً بإلهه، وأراد من كلّ قلبه أن يصير ناسكًا في الجبل، لكن كيف؟! وماذا سيقول؟! هذا سبَّبَ له حُزْنًا بان على هيئته. لاحظ صاحب البقالة اضطرابه وسأله عن السّبب، فقال له إيفانجيلوس إنّه عَلِمَ أنّ أمّه مريضة ويريد الذهاب لرؤيتها،

فأعطاه سيّده مالًا لشراء بطاقة السّفر وطعامًا لأمّه وودّعه. أسرع الشاب إلى الجبل، لكنّه لم يجرؤ على المُضِيّ إذ أخذت الأفكار تتقاذفه: خاف وأشفق على أهله، ولم يحتمل... وعندما وصل المركب إلى بحيرة إيقيا، نزل وعاد أدراجه إلى بيرية. ذهب إلى مكان عمله السّابق وكذب مجددًا على أسياده، أنّ أمّه أصبحت على ما يرام. وهكذا تابع عمله. أخذ إيفانجيلوس يصلّي بحرارة ويصوم ويقوم بالسّجدات حتّى تغيّرت هيأته. سأله مجُددًا أسياده عن السّبب وأعطوه مالًا وطعامًا ليذهب ويزور أهله.

ذهب وفي نيّته الاتجاه إلى الجبل المقدّس. في الطريق اعترته **كآبة شديدة**: كيف سيغادر العالم من دون عودة، وسيفتقده أهله ويحزنون. لذا لم يكمل طريقه بل عاد إلى بيرية. بعد هذه المحاولات، اتّخذ قرارًا حاسمًا بأن يذهب دون عودة، وصمّم على عدم الخروج من المركب المتّجه إلى تسالونيك. كانت هذه المرة الثالثة والأخيرة. عندما وصل المركب إلى تسالونيك، بقي إيفانجيلوس النّهار بكامله على ظهر السّفينة طالبًا من أحدهم إحضار الطعام له. وبعد الظهر بدأ الرّهبان بدخول المركب... كانت هذه أوّل مرّة يرى فيها رهبانًا يرتدون جُببًا. دخل السّفينة مع الجمع **شيخٌ وقور** ذو لحية طويلة يحمل أكياسًا. اقترب من إيفانجيلوس وجلس على مقعد وطلب منه أن يجلس بقربه، ثم سأله عن وجهة سيره. فقال له إيفانجيلوس إنّه ذاهب إلى الجبل المقدّس للعمل. فعرض عليه الشيخ أن يذهب معه إلى **كافسوكاليفيا**، إلى منسكه، حيث يعيش مع أخيه. وافق الصّبي، إلّا أنّ الجبل المقدّس يمنع دخول الأولاد الصّغار، لذلك ادّعى الشيخ أنّ إيفانجيلوس هو ابن أخته وقد تيتّم وعليه الاعتناء به.

منسك القدّيس جاورجيوس:

وصل الشاب إلى المنسك وبدأت حياة جديدة له: **خِدَم، صلوات، صوم، سهرانات**... كان اسم أبيه الرّوحي، أي الشيخ الّذي التقاه في المركب، «**بندلايمون**»، وكان يعيش مع أخٍ له بالجسد اسمه **الشيخ إيوانيكيوس**. بهذه الطريقة اقتنى الشاب إيفانجيلوس أبوَين روحيَّين. وبفرح سلّم نفسه لهما. يقول **القدّيس بُورفيريوس** أنّه أثناء حياته هناك كان يحيا في الغبطة. لكنّه مرّ بتجربة في البداية، وهي التفكير بأهله وبحزنهم عليه. فأحسّ برَغبة العودة إلى قريته. زاد على ذلك أنّه لم يُفْصِحْ بأفكاره أمام شيخه، فأخذ يفقد الشّهية للطعام ويكتئب. فسأله شيخه عن السّبب وعندما أفصح عن فكره، تحرّر كليًّا من التجربة وعاد الفرح يملأ قلبه. مأخذه الوحيد كان أنّ الشّيخين لم يكونا يطلبان منه الكثير. كان يحبّهما كثيرًا رغم أنّهما كانا شَدِيدَيِ الحزم. لم يدرك ذلك وقتئذ. فكما كان ينظر إلى أيقونة المسيح بمهابة كان يوقّرهما بالمهابة عينها. لم يُسندا إليه أعمالًا صعبة، فقط كان يسقي الحديقة ويعمل بالحفر على الخشب. بعد فترة أعطاه الشيخ مسبحة وقال له أن يردّد صلاة يسوع كلّ مساء. في المنسك تعلّم القراءة بشكل لائق، إذ أخذ يردّد المزامير والعهد الجديد والقوانين... في البدء لم يسمحا له بمغادرة المنسك، ولكنّه عندما تقوّى قليلًا، أخذ يخرج؛ وفي خروجه كان يردّد المزامير والعهد الجديد حتّى لا يدع ذهنه يتشتّت. وأحيانًا كان يذهب إلى **كنيسة القدّيس جاورجيوس** وينصرف إلى صلاة يسوع، والترتيل لأنّ صوته كان جميلًا. لم يكن يسمح لنفسه باللجوء إلى الاستراحة أثناء حمله الأغراض إلى المنسك قائلًا لنفسه: «**سوف أريك، يا أيّها الحمار السّافل الصّغير!**».

لم يعرف الكسل ولم يشفق على جسده. حتّى إنّه كان أحيانًا يمشي حافي القدمين على الطرق المُحْجرة والمغطّاة بالثلوج. وكان ينام قليلًا مُتغطيًّا بغطاء واحد على أرض القلاية فاتحًا النّافذة. وكان يضرب عددًا كبيرًا من المطّانيات، ولا يسمح لنفسه بالاستسلام للنّوم. أراد أن يعيش طيلة حياته في الجبل ناسكًا مجهولًا من العالم. كانت العلامة المميزة لجهاده النّسكي، طاعته الكاملة لشيخَيْه، رغم أنّهما لمنفعته، كانا يؤنبانه بطرق مختلفة وقاسية، ولم يقولا له ولا مرة «**أَحسنت**»!. لم تكن طاعته لهما كَرهًا، بل ناجمة عن المحبّة. نفعته الطاعة كثيرًا إذ جعلته ذكيًا، يقظًا، وقويًا، نفسًا وجسدًا، وهي الّتي أهلّته لموهبة الرّؤية. فالطاعة تدل على محبتنا للمسيح، والمسيح يحبّ المطيعين إذ هو نفسه أطاع حتّى الموت موت الصّليب.

ذات يوم استدعاه الشيخ بندلايمون وسأله عن برنامجه وهل يريد أن يبقى معهما. فأجاب إنّه سيبقى؛ عندها طلب منه الشيخ أن يضرب مطانية ثم ألبسه، الجبّة وكانت قديمة مرقّعة لدرجة أنّه لم يعد يظهر القماش الأصلي فيها. هذا الأمر أزعجه قليلًا إذ كان يتوقّع أن يحصل على جبّة جديدة، كباقي المبتدئين الّذين كان يراهم أثناء الأعياد في كنائس الأديار الكبرى. مرّت خمس دقائق وانتهى كلّ شيء، شعر بالفرح إذ تذكر النّساك ومسوحهم الخشنة... وكان حينئذٍ قد بلغ الرّابعة عشرة من عمره. بعد عامين أو ثلاثة، حسب قول **القدّيس بُورفيريوس**، أخذ الإسكيم الكبير بآسم «**نيكيتا**» في «**دير اللافرا الكبير**». وقد زارته النّعمة بطيب سماوي اشتمّه في طريقه إلى **اللافرا**، ومن ثم انبعثت رائحة طيب من رفات القدّيس «خرالمبوس» أثناء تقبيله لها. فرح فرحًا شديدًا ومن شدة التأثر اختلى بنفسه بعد السّهرانة دون أن يتكلّم مع أي راهب. لم يرغب في الترتيل كعادته ولا بأي شيء آخر. فقط كان يريد سماع صوت إلهه.

زيارة النّعمة الإلهية له:

ذات يوم، حوالي السّاعة الثالثة والنّصف فجرًا، ذهب **نيكيتا** إلى الكنيسة الكبرى، كنيسة الثالوث القدّوس، لحضور الخدمة. وصل باكرًا قبل قرع الأجراس. لم يكن هناك أحد داخل الكنيسة. جلس في المدخل تحت الدرج وأخذ يصلّي. بعد قليل فُتح باب الكنيسة ودخل راهب طويل مسنّ، هو **الشيخ ديماس**. عندما دخل، تفقّد المكان بنظره فلم يرَ أحدًا، فأمسك بمسبحته وأخذ يصنع السّجدات الكبيرة بسرعة مردّدًا: «يا ربي يسوع المسيح ارحمني... أيتها الفائق قدسها والدة الإله خلّصينا». بعد قليل دخل في ذهول دون إرادته، فوقف فاتحًا يديه بشكل صليب محاطًا **بالنّور الإلهي**. فإذا بالنّعمة تنتقل إلى **نيكيتا** فورًا فدخل في حالة الشيخ للحال. تأثر كثيرًا وأخذ يبكي.

يقول **القدّيس بورفيريوس**:« لا يوجد كلام يستطيع التعبير به عمّا جرى له. إنّه سُبي من الله. لا يمكن شرح هذه الأمور على الإطلاق. إذا حاولتُ شرحها أُخطئ. كلا، كلا لا يمكن شرحها ولا في الكتب، لا يمكن إدراكها... يجب أن تكون مستأهلًا لكي تفهمها».

من تلك اللحظة أخذت المواهب تتضاعف عند **الراهب نيكيتا**. وأوّل إعلان لها، كان عندما رأى الشّيخَين قادمين من طريق بعيد خلف الجبل. رآهما كأنّهما بقربه. وقد أعلم شيخه بالحادث، فأوصاه ألّا يعطي أهميّة للموضوع. لكنّه أصبح أكثر فطنةً وحفظ معظم القوانين وكلّ كتاب المزامير. أصبح يرى أمورًا كثيرة وينتبه لكلّ شيء. انفتحت عيناه وأذناه، فصار يميّز الحيوانات والعصافير على أنواعها. إنفتح أنفه وكان يشمّ كلّ شيء ويتبيّن الرّوائح بدقة متناهية. أصبح إنسانًا جديدًا: يجعل كلّ ما يراه صلاة يرى، يسمع، يشُم كل شيء بنعمة الله... يتأثر، يتخشّع ويصلّي. يصف القديس هذه المرحلة قائلًا: «كنت أعيش ضمن النّجوم، داخل الأبدية، في السّماء...».

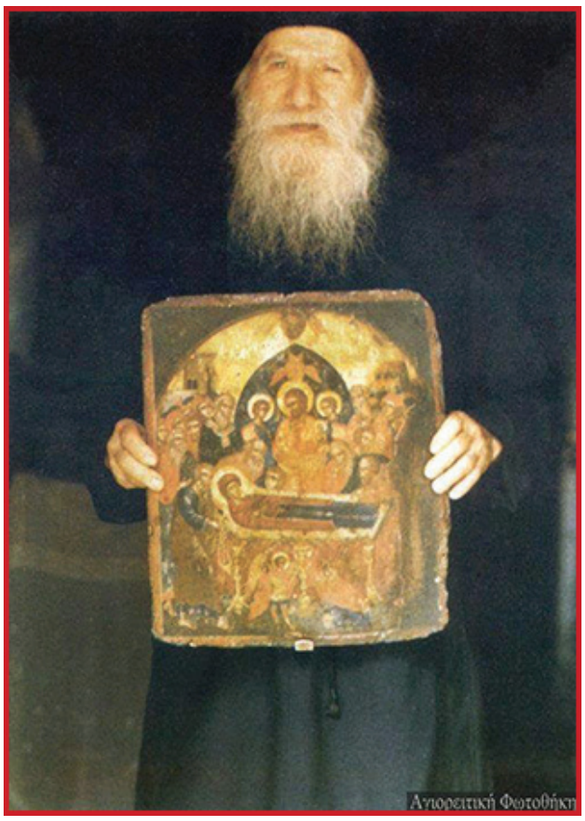

العودة إلى العالم:

ومع زيارة النّعمة استمرّ **الرّاهب نيكيتا** في جهاداته النّسكية كسابق عهده بتواضع، تُحرِّكُهُ محبّته لإلهه. لكنّ الرّبّ الإله ارتضى له مسيرًا آخر بعيدًا عن الجبل. أراده أن يكون مُرشدًا للنّفوس وراعيًا لأغنامه. لم يفكّر أبدًا بالحصول على موهبة خاصة من لدن ربّه ولا بمغادرة الجبل المقدّس. في أحد الأيام الماطرة ذهب ليجمع الحلزون الكبير طاعة للأب إيونيكيوس فتعرّض لحادثٍ. نجا ولكنّ الحادث أثّر على صحته إذ أُصيب بالتهاب الرئتين. استدعى رئيساه ناسكًا قدّيسًا عالمًا بأمور الطب، ولكن لم ينتفع منه شيئًا. في نهاية المطاف أضطر أبواه لإرساله إلى العالم ليحظى بالعناية الواجبة، لاستعادة صحته لأنّهم لم يكونوا يملكون الأدوية اللازمة ولا الأطعمة كالحليب والبيض... أخذ بركتهما، وبكاء ووجع كبير غادر عائدًا إلى إيفيا.

في إيفيا:

وصل **الرّاهب نيكيتا** إلى قريته، كان شكله قد تغيّر تمامًا. عمره آنذاك كان تسع عشرة سنة، شعره طويل ولحيته متدلّية. فرح به أبوه كثيرًا، لكن أمّه خجلت به ووبّخته ولم تسلّم عليه. حضرت كلّ الضيعة بفضول لملاقاة «ناسك جبل آثوس» ذي الشعر الطويل. لم يشأ **نيكيتا** أن يقصّ شعره، فجعله في ماء مغليّ فتلف وسقط وأصبح أصلع.

أوّل الأمر سكن مع عمّته لأنّ أمّه رفضت أن تستقبله. هناك بدأ يأكل طعامًا جيدًا واستعاد صحته، لكنّه لم يبقَ، لأنّه شعر بالخجل إذ لم يقدّم شيئًا لأهله وهم الآن يعتنون به.

ذهب إلى **دير القدّيس خرالمبوس**. فَرِحَ به رئيس الدّير هناك. وما لبث أن شعر بالتحسن فأسرع إلى الجبل المقدّس. فرح به أبواه كثيرًا، لكنّه مرض من جديد بعد بضعة أيام، ومن جديد عاد إلى دير القدّيس خرالمبوس. استعاد صحته وتقوّى ثم عاد إلى الجبل المقدّس ثلاث مرات. وفي المرة الثالثة، قال له أبواه إنّه رغم عدم رغبتهما في إرساله إلى العالم، إلّا أنّ بقاءه في الجبل المقدّس يشكّل خطرًا على صحته قد يؤدّي إلى موته، معبّرَين عن محبّتهما الفائضة له.

هكذا رحل **الرّاهب نيكيتا** عن الجبل المقدّس نهائيًا. ذهب إلى دير القدّيس خرالمبوس، حيث رغب به الجميع وأحبّوه وفرحوا بعودته.

أما بالنسبة لأمّه المسكينة الّتي ساءها أن يكون ابنها راهبًا، فقد بعث لها راهب من منسك القدّيس نيلّس رسالة قرّعها فيها على قساوة قلبها، وقال لها إنّ وحوش البرية تحب أولادها. كتب الكثير من الكلام الجميل القاسي. انسحقت أمّه كثيرًا وتغيّرت وأصبحت شغوفة بالكنيسة.

وعندما صار ابنها كاهنًا، لم تعد تتركه. كانت تدعوه «أبي» بافتخار. ماتت بقربه وكانت تقول: «يا ولدي، ليتني جعلتُ كلّ أولادي رهبانًا! في البداية لم أدرك الأمر، ليت كلّ أولادي كانوا رهبانًا»!

كاهنًا:

أُوليَ **الرّاهب نيكيتا** ثقة كاملة في الدير. أثناء العمل لم يكن يترك عقله تائهًا بل كان يؤدّبه... كان كالفتاة الهائمة بمعشوقها. فبالرغم من إصابته بداء الرّئة ومرضه، إلّا أنّ ذهنه كان دائمًا عند معشوقه المحبوب... عند المسيح. وقد أُعجب به كثيرًا «المتربوليت فوستين» الّذي كان يحب الرّهبان.

ذات مرة جاء المتروبوليت مع رئيس كهنة سيناء، بورفيريوس الثالث، وحاولا إقناع **نيكيتا** أن يصير **كاهنًا** لانّه لم يكن يشاء ذلك. وفي نهاية المطاف **صارَ كاهنًا** وأخذ اسم «**بورفيريوس**». بعد سنتين جُعل أبًا روحيًا وأخذ يُعَزِّف ليل نهار، أحيانًا ثمانًا وأربعين ساعة دون توقّف ودون طعام. في البدء كان صارمًا في أعطاء الحل واضعًا كتاب الاعتراف **للقدّيس نيقوديموس** ناموسًا له. لكنّه مع الوقت تعقّل، وتذكر قانونًا **للقدّيس باسيليوس** الّذي يقول فيه: «من أخذ سلطان

الرّبط والحلّ، إذا وجد أنّ الخاطئ قد اعترف بخطاياه وٱنسحق، عليه أن يخفّف مدة العقوبة، فالحكم ليس على المدة بل على أسلوب العقاب».

بقي **الرّاهب الكاهن بورفيريوس** أبًا روحيًا في إيفيا إلى العام ١٩٤٠. كان يستقبل أعدادًا كبيرة من المؤمنين كلّ يوم. انتشر صيته كأب مُعَرِّف وعارف بمكنونات القلوب في المناطق المجاورة، وٱزداد عدد الوافدين إلى **دير القدّيس خرالمبوس** للاعتراف لديه. وبموهبة الرؤية المعطاة له ساعد النّفوس التائهة وقادها إلى معرفة الحق والحياة مع المسيح. بهذه الموهبة خلّص نفوسًا كثيرة **من حبائل الشيطان وألاعيبه**. عام ١٩٣٨، صيّره متروبوليت كاريستيا **أرشمندريتًا** «لخدمته كأب روحي وللآمال الحسنة الّتي تراها الكنيسة المقدسة فيه»... آمال تحقّقت بنعمة الله.

كاهنًا لرعية تساكايي ودير القدّيس نيقولاوس:

حوالي العام ١٩٣٨ عَيَّن المتروبوليت كاريستيا **الأب بورفيريوس كاهنًا** لقرية تساكايي في إيفيا. ترك الأبُ **ديرَ القدّيس خرالمبوس**، لأنّه تحوّل إلى دير نسائي، وسكن في **دير القدّيس نيقولاس المهدّم والمهجور** في منطقة «أنو فاسيا» (Ano Vathias) تحت رعاية متروبوليت خالكيذا. بقي هناك حوالي ثلاث سنوات ثم غادر المكان قبل ٱندلاع الحرب الإيطالية.

مستشفى أثينا:

عام ١٩٤٠ مع **اندلاع الحرب العالمية الثّانية**، عُيّن **الأب بورفيريوس** كاهنًا لكنيسة القدّيس جيراسيموس الصغيرة التابعة لمستشفى أثينا.

أحبّ **الأب بورفيريوس** كثيرًا أن يعمل في مؤسسة تُعين المرضى والمحتاجين. اشتعلت فيه هذه الرّغبة عندما سمع، ذات مرة، قراءة في الجبل المقدس **للقدّيس نيكيفوروس** قال فيها: «كم من الخير يستطيع أن يفعل المرء، عندما يُعزّي نفوسًا متألّمة، أو أشخاصًا يعانون من أمراض...»

سمع الرّب الإله تضرّعاته وقاده إلى مستشفى أثينا. طلب موعدًا وذهب لمقابلة المدير. تأخّر هذا الأخير عن الموعد، فجلس **الأب بورفيريوس** في قاعة الانتظار وفتح الكتاب المقدّس وأخذ يقرأ فيه.

حضر المدير وما إن سلّم عليه حتّى سأله ماذا كان يقرأ، فأجابه: «الكتاب المقدس»... ثم سأله عن دراسته، فأعلمه أنّه لم يكمل **الصّف الأول الابتدائي**، ولكن سيرة حياته أعجبت المدير. فسأله إلى أي متربوليت يتبع، ثم قام واتصل به قائلًا: «لقد وجد المستشفى كاهِنَهُ».

وأجبره على القيام بالذبيحة الإلهية، رغم عدم توفّر إذن من رئيس الأساقفة. عارض **الأب بورفيريوس** في البدء لكنّه بوداعته المعتادة رضخ. وبعد القدّاس قال له المدير: «سنتّخذك أبًا وكاهنًا لنا». عندها أثار أنتقاؤه **حسد الكاهن ذي الكفاءة العالية**، الّذي أراد هذا المنصب لنفسه، فأخذه المدير بنفسه إلى رئيس الأساقفة الّذي ٱستجوبه قليلًا ثم قال: «في هذا المكان نريد شخصًا متعلّمًا وكاهنًا واعظًا، لأنّه مركز يعمّ فيه الفساد، وينبغي على الكاهن فيه أن يعظ ويعلّم النّاس، لكنّ السّيّد المدير يريدك أنتَ. يُمكنني أن أقول بأنّك لست متعلّمًا. ولكن إذا استطعت، على الأقل، أن تحافظ على أسلوب جيّد ولهجة حسنة، فيمكنني أن أعتبرك بأسلوبك الجيّد، قد تكون أفضل من كاهن لاهوتي، يعظ النّاس بأقوال منمّقة خطابية.»

وهكذا كان. أخذ **الأب بورفيريوس** البركة وانطلق في هذه المرحلة الجديدة من حياته الّتي استمرّت ثلاثة وثلاثين عامًا. وَصَفَها **الأب بورفيريوس** كالتالي: «عشت هناك ثلاثة وثلاثين عامًا، وكأنّني قضيت يومًا واحدًا, عشتُ حياة جميلة. كنتُ مجهولًا جدًا ومختفيًا، هناك في المستشفى... كنت مُهمَلًا جدًا، غير متعلّم، غير مهم، فقيرًا، آخرون يترأس آخرون الكنيسة وأنا لا أعرف شيئًا». أحبّ **القدّيس جيراسيموس** حبًّا كبيرًا وكذلك المرضى.

ذاع صيته **كأب روحي** جيّد، فتقاطر عليه الناس من أجل الاعتراف. لم يكن يجيد القراءة ولا حتّى الترتيل بحسب الموسيقى، لذلك قام بجهود كبيرة خاصة، وأنّ عددًا كبيرًا من المثقفّين كان يحضر إلى **كنيسة القدّيس جيراسيموس**. حتّى إنّه التحق بمعهد الموسيقى لكي يساعد المرتّلين. كانت أكبر تجربة مرّ بها في خدمته في أثينا، صوت الموسيقى العالي الصّادر من أحد محلات الاسطونات مقابل الكنيسة أثناء القدّاس الإلهي. كلّم صاحب المحل ولكن من دون جدوى. فأخذ يصلّي... صلّى والرّب أعطاه جوابًا من خلال كتاب فيزياء لطفل صغير قرأ فيه: «إذا ألقينا حجرًا صغيرًا في بحيرة ساكنة، نرى المياه تضطرب، وتصنع «أمواجًا» تمتد إلى مسافات قصيرة. وإذا ألقينا وراءه حجرًا أكبر منه، تتشكّل «أمواج» أكبر من السّابقة، وتمتد مسافات أبعد، بحيث أنّها تحيط بالأمواج الأولى وتطغي عليها». ومن تلك اللحظة تحرّر من **ضغطة التجربة عليه** وأخذ يقوم بالذبيحة الإلهية مركّزًا كلّ ذهنه على الله... فشعر أنّه والجماعة المحيطة به ضمن النّعمة الإلهية بمنأى عن كلّ ما يحصل في الخارج، ولم يعد يسمع صوتًا خارج الصّلوات المقامة في الكنيسة.

ولكون **الأب بورفيريوس** غير متعلّم كان يحصل على معاش زهيد لا يكفيه، ولا يكفي عائلته وبعض الأقارب من الّذين كان يعولهم، ولا كان باستطاعته جمع المال لبناء الدّير الّذي كان يحلم به. لذلك اشترى آلة وأخذ يصنع مع أخته الفانيلّات والجاكيتّات بالإضافة إلى البخور الممتاز الغالي الثمن. هذا كان يصنعه بنفسه، يمزج العطورات مميّزًا روائحها وتفاعلها مع بعضها، كانت له وصفته الخاصة في صنع البخور. في تلك المرحلة كان يقيم في «توركوفونيا»، في كوخ من الخُفَّان مع والدته وأخته وٱبنة أخته. (الخُفَّان: حَجَر بُرْكانيّ نَخِر، خَفيف، وصُلْب جدًّا. يُسْتَخْدم للصَّقْل).

عصا القدّيس جيراسيموس:

ذات مرة أثناء مغادرته لكوخه عَبَرَ الطريق الوعرة المنحدرة، فوقع وكسر ساقه. أسرعوا به إلى المستشفى حيث جبّروا السّاق. بعد خمسة عشر يومًا، بينما كان يصلّي مستلقيًا في السّرير ألقى نظرة عفوية على

رجله، فرأى من خلال الجبصين بنعمة الله أنّ الرّجْلَ كانت معوجة. طلب من الأطباء فتح الجبصين. لكنّ الطبيب الأستاذ ضحك منه ورفض عدة مرّات تصوير السّاق رغم إصرار **الأب بورفيريوس**. في نهاية المطاف أنزلوه إلى غرفة الأشعة واستبان أنّ **الأب بورفيريوس** على حق، فاضطرّ الطبيب إلى إعادة كسر السّاق وجبرها بالشكل الصّحيح، مما سبب له آلامًا قاسية.

بعدها، بقي مستلقيًا شهرين أو ثلاثة ثم أعطوه عكّازين لكي يمشي، فخاف أن يعتاد عليهما، فنصحه الطبيب بشراء عصا، فأوصى أخته بشرائها رغم عدم توفّر المال لديها.

غادر **الأب بورفيريوس** المستشفى حوالي الساعة الحادية عشرة واتجه بواسطة العكّازين إلى كنيسة المستشفى. هناك دخلت سيّدة وسألت إذا ما كانت هذه **كنيسة القدّيس جيراسيموس وعن أيقونته**، فدلّتها المشرفة على المكان إليها. فذهبت السّيّدة وجثت أمام الأيقونة وقالت بدموع وصوت عال: «يا قديس الله، أنا لا أعرفك، ولم أسمع عنك أبدًا، ولم أسمع حتّى بآسمك. ولكنك أكرمتني وزرتني، وطلبت مني العصا الّتي آشتريتُها من أورشليم، لكي آتي بها إلى بيتك وقد حدّدت لي اليوم والسّاعة... وها قد أتيت». ولما أنهت صلاتها آتجهت نحو **الأب بورفيريوس** وسألته عن سبب هذه الرؤيا؛ ففسّرت لها المشرفة أنّ الأب الجالس هنا هو كاهن هذه الرّعية وأنه أراد شراء عصا، رغم فقره، وشفيع هذه الكنيسة دبّر الأمر بطريقته !!!. أَسْمَى **الأب بورفيريوس** هذه العصا عصا **القدّيس جيراسيموس**. وكان كلّ من ضربه بها يُشفَى من دائه.

في دير القدّيس نيقولاوس في بندلي:

عام ١٩٥٥ آنتقل **الأب بورفيريوس** للعيش في **دير للقدّيس نيقولاوس** في «كاليسيا» التابع **لدير بندلي**. هناك زرع الأرض بكلّ أنواع الخضار والأشجار على أنواعها وركّب مضخّة لاحضار المياه من الوادي وربّى الدّجاج.

كلّ هذه الأعمال والاهتمامات قام بها **الأب بورفيريوس** مع خدمته في **كنيسة القدّيس جيراسيموس** والمستشفى التابع له، متذكّرًا دومًا مقولة **القدّيس إسحق السّرياني**: «يحد الرّب الإله وملائكته الفرح في العمل، أما الشيطان وزبانيته فيفرحون بالبطالة».

أراد **الأب بورفيريوس** أن يُنشئ ديرًا في هذه الناحية لكنّ الله شاء غير ذلك. هناك في كاليسيا، ذهب ذات مرة مساء مع أخته إلى كنيسة **القدّيس نيقولاوس** لكي يصلّيا. ذهبا خفية عن والدتهما. وما إن شرعا بتلاوة صلاة يسوع: «أيّها الرّب يسوع المسيح إرحمنا» حتى غمر المكان **نورٌ إلهي**، فتابعا الصّلاة فَرِحَيْنِ فَرَحًا لا يوصف. بقيا ساعات ضمن النّور الإلهي، ثم أخذ النّور ينحسر... ولما عادا إلى القلاّية، كانت والدتهما في انتظارهما وقالت لهما: «كيف تركتماني، أتعتقدان أنّي لم أركما... لقد رأيت كلّ شيء... نورًا نزل من السّماء ودخل الكنيسة... نظرت وبكيت...».

«قوّتي في الضعف تُكْمَل»:

عانى **القدّيس بورفيريوس** من أمراض كثيرة خلال حياته، إلى جانب المرض الّذي أجبره على مغادرة الجبل المقدّس والّذي أثّر في صحتّه كثيرًا.

ففي نهاية خدمته في مستشفى أثينا، أُصيب بمرض في كُليتيه. أُجريت له عملية جراحيّة عندما كان المرض قد تفاقم جدًا، وذلك لأنّه كان يعمل دون توقُّف واعتاد أن يطيع «**حتّى الموت**»، وأطاع مدير المستشفى الّذي قال له أن يُرجئ العملية إلى ما بعد الفصح، فدخل في غيبوبة من جرّاء هذا التأخير. وقد أعلم الأطباء أقاربه بتحضير مراسم الدفن. إلّا أنّ المشيئة الإلهية شاءت غير ذلك واستعاد **القديس** صحته رغم كلّ التوقّعات الطبية. وقبل ذلك بقليل كان قد كسر رجله. عانى **القديس** من **الفتاق** طيلة حياته بسبب الأحمال الثقيلة الّتي كان ينقلها إلى بيته في توركوفونيا.

ثم إنّه عام ١٩٧٨، **أُصيب بذبحة قلبية**. أُدخل على إثرها إلى مستشفى وطالت فترة نقاهته. في وقت لاحق، عندما استقرّ في البيت المتنقل في «ميليسي»، أُجريت له عملية في عينه ولكن أخطأ الأطباء فانطفأت عينه، وبعد بضع سنوات انطفأت عينه الأخرى. وقد أعطاه الأطباء دون إذنه جرعة من **الكورتيزون** كان جسمه يتحسّس منه، ما أدى إلى نزيف حاد في معدته، فأعطوه ١٢ عيّنة من الدّم، وأُجبر على التقيّد بنوعية معيّنة من الطعام الّذي يأكله. فكان يقيت نفسه ببضعة ملاعق من الحليب والماء يوميًا فقط.

على الأثر ضَعُفَتْ قواه الجسدية وأُرهق لدرجة أنّه لم يعد يستطيع الوقوف مستقيمًا. هذه المرة أيضًا رغم **اقترابه من الموت**، **نجّاه الرّب**. وآستمرت هذه القرحة إلى آخر حياته، ينزف منها كلّ ثلاثة أشهر تقريبًا.

منذ ذلك الحين، أخذت صحّته تتدهور. استمرّ **الأب بُورفيريوس** برعاية أغنامه على قدر استطاعته، مُعَزِّيًا لوقت أقل من الماضي، أحيانًا مع أوجاعٍ مؤلمة ومختلفة. وأخذ يفقد نظره تدريجيًا حتّى أُعمي كليًا عام

١٩٨٧، ومعه خفّف من كلمات النّصح الّتي كان يُسديها للنّاس، وزاد من صلاته لأجلهم. صلّى بصمت وبكثير من الحب والتواضع لكلّ من كان يستنجد به طالبًا معونة من ربّه. وبفرحٍ روحيّ كبير كان يشهد لنعمة الله تقودهم إلى كلّ عمل صالح.

بناء دير جديد:

رغب **القدّيس** ببناء **دير مقدّس**، يكون **أساسًا رهبانيًا** تعيش فيه راهبات تقيّات من بناته الرّوحيات.

تعهّد **الأب بورفيريوس أمام الله** أن يهتم بهؤلاء النسوة اللواتي ساعدنه قبل مفارقته الدنيا، لأنّهنّ كن معاونات أمينات لسنوات عديدة. وقد شاء أن يزداد هذا الدير مع الوقت ويجمع كلّ من أَرَدْنَ أن يكرسن أنفسهن لله.

أول فكر له كان أن يبني **ديرًا في كاليسيا، بندلّي**، في المكان الّذي آستأجره من **دير بندلي**. حاول مرارًا وتكرارًا أن يُقنع أصحاب الأرض بمنحه إيّاها ولكن دون جدوى. أحسّ **الأب بورفيريوس** أنّها لم تكن مشيئة الله، مدبّر كلّ الأمور بحكمة، أن يستمرّ في هذا المكان بل أراده أن ينتقل إلى مكان آخر. باشر **الأب بورفيريوس** بالتفتيش عن أرضٍ مناسبة لبناء دير.

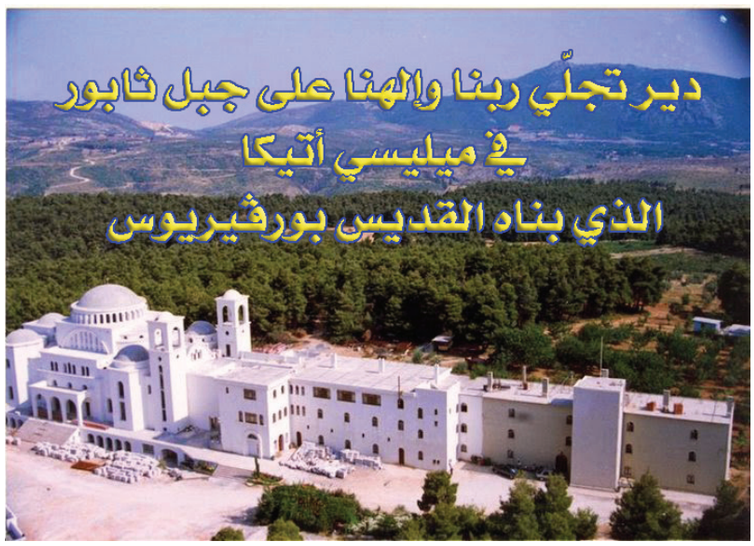

خلال هذا الوقت، قدّم للّجنة المختصّة في الكنيسة ميثاقًا أعدّه مع أبنائه الرّوحيين لتأسيس **دير للراهبات**. وبما أنّه لم يكن قد وجد العقار المناسب انتقى منطقة «توركوفونيا» في أثينا مقرًا للدير. هناك كان يملك بيتًا حجريًا صغيرًا فقيرًا سكن فيه منذ العام ١٩٤٨ إلى أن آنتقل إلى كاليسيا. لم يشأ **الأب بورفيريوس** أن يقوم بأي شيء من دون إذن الكنيسة. ومع أنّه قدّم الأوراق عام ١٩٧٨، لم يحصل على الإذن بإنشاء «**دير تجلّي ربّنا وإلهنا يسوع المسيح**» إلّا عام ١٩٨١ وذلك بعد متاعب إدارية كثيرة. أراد **الأب بورفيريوس** أن يكون المكان مُحمِيًّا من الرّياح ذا منظر جميل. صلّى كعادته كي ينيره الله. لم يلجأ إلى المكاتب العقارية بل أخذ يجول بنفسه على الأراضي المختلفة متفحصًا بتدقيق ميزات كلّ منها. بحث بلا كلل وزار مئات العقارات، استشار عددًا كبيرًا من النّاس.

وفي الأخير أظهر الله له مكانًا في «**ميليسي، أتيكا**»، فوق الهضبة، لكي يبني ديرًا. أخبره أحد الرّعاة أنّ هذا المكان يُعرف بـ «الخلاص المقدّس». أراد أن يعرف إذا كان في الأرض ماء... «رأى» ببصيرته الماء، و«ذاقه» وكان جيدًا جدًا ولكن عميقًا جدًا. ثم راقب الطرقات إذا كان بالإمكان تمديد الكهرباء والهاتف، هل المكان محميّ من الرّيح، وما إذا كان الهواء الشمالي يصيبه، وهل فيه رطوبة، وراقب مسيرة الشمس فيه، مترددًا على المكان لأشهر لأنّه أراد أن يبني ديرًا تشرق عليه الشمس وتغرب منه، فيسقط عليه آخر شعاع لها. ولما كانت هذه الأمور مؤاتية، قرر شراء الأرض. تمّت الصّفقة وابتدأت أعمال البناء عام ١٩٨٠م بالأموال الّتي ادّخرها عبر السّنين، لأجل بناء الدير معتمدًا أيضًا على مساعدات الأصدقاء والأقارب الّذين شاركوه هذه الرّغبة.

عاش أكثر من سنة هناك في عربة متنقّلة في ظروف صعبة جدًا خاصة في الشتاء. وبما أنّ المياه الّتي «**رآها**» **القدّيس** عميقة فقد اضطر إلى بناء خزّانٍ كبيرٍ يجمع مياه الأمطار. ولكن هذا لم يكن كافيًا.

ذات مرة أتى رجل إلى **القديس** مسترشدًا فكشف له **الرّب الإله** به أمورًا عائلية معينة تخصّه. تعجّب الرجل وتأثر جدًا، وقال له أنّه يريد أن يحفر له بئر ماء. وهكذا حصل على المياه الجوفية الجيدة بعد أن حدّد له **القدّيس** العمق الّذي يجب حفره للحصول على المياه.

حُبّه اللّامحدود لربّه وللقريب ، دفعاه إلى إرشاد الكل إلى فرح تجلّي المسيح الإله على جبل ثابور. كان مع الرّسول بولس، يناشد أولاده الرّوحيين: «وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ. » (رومية ١٢:٢). أراد أن يرشدهم إلى الحالة الّتي اختبرها حيث «وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ.» (٢ كو ٣:١٨). لذلك **كرّس الدير لتجلّي ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح** وأراد أن تُكرَّس كنيسة الدير لهذا العيد. وفي نهاية المطاف، بعد صلاة حارّة، متواترة توصّل مع العمال إلى رسم تخطيط بسيط ومتكامل للكنيسة. تمّ وضع حجر الأساس في ليلة ٢٥ شباط ١٩٩٠، خلال **سهرانة للقدّيس «بورفيريوس الغزّاوي»**.

لم يكن **الأب بورفيريوس** يستطيع النّزول إلى أسفل حيث سيوضع حجر الأساس، فأعطاهم بكثير من التأثّر صليبه ليكون حجر الأساس. ومن سريره صلّى «**يا صليب المسيح ثبّت أساس هذا البيت، يا صليب المسيح، خلّصنا بقوّتك اذكر يا الله عبدك الحقير بُورفيريوس ورفقته...**». **وبصلوات القديّس** استمر العمل في بناء الكنيسة دون توقف، واستطاع أن يرى بعينيه الرّوحيتين (لأنّه كان قد فقد بصره الطبيعي منذ سنوات) الكنيسة في مراحلها الأخيرة. لأنّه ما

إن وصل البناء إلى قاعدة قبة الكنيسة الأساسية حتّى رحل **القدّيس** من هذا العالم.

عودته إلى مكان توبته الأولى:

لم يترك **القدّيس بورفيريوس الجبل المقدّس** إلّا بالجسد. فروحه بقيت هناك.

لم يكن ثمة موضوع يهتم به أكثر من الجبل المقدّس آثوس وبالأخصّ «**كافسوكاليفيا**». لسنوات كان عنده قلاية هناك لأحد تلاميذه يزوره فيها.

عام ١٩٨٤، علم أنّ آخر راهبٍ في **قلاية القدّيس جاورجيوس** قد غادر وانتقل إلى دير آخر، فأسرع إلى **دير اللافرا الكبير** الّذي تتبع له القلاية ، وطلب من **رئيس الدير** إعطاءه إيّاها. هناك أخذ أوّل نذوره الرّهبانية، ولسنوات تمنّى العودة ليفي النّذر الّذي قام به منذ أكثر من ستين سنة، وأن يبقى في الدّير إلى آخر نسمة من حياته. لقد أصبح الآن مُستعدًا لآخر رحلة في حياته. أُعطي **القدّيس بُورفيريوس قلاّية القدّيس جاورجيوس** بحسب ترتيب الجبل المقدّس بوثيقة مختومة في ٢١ أيلول ١٩٨٤.

سكن هناك مع عدد من تلاميذه. في صيف ١٩٩١ أصبح عددهم خمسة، وهو العدد الّذي ذكره أمام أولاده الرّوحيين منذ ثلاث سنوات قائلًا: إنّه عندما يصبح عدد تلاميذه خمسة سوف ينطلق إلى ربّه.

رحلته الأخيرة:

خلال آخر سنتين من حياته كان يتكلّم باستمرار عن تحضيره للمثول أمام الدينونة.

أعطى أوامر محدَّدة عن رغبته في أن يدفن في **كافسوكاليفيا**. في الأخير قرّر أن يذهب إلى هناك بنفسه ما دام حيًّا.

عشيّة عيد الرّوح القدس من العام ١٩٩١، غادر **الأب بُورفيريوس** باتجاه الجبل المقدّس بعد أن كان قد اعترف وأخذ الحلّ عن خطاياه من **أبيه الرّوحي المسنّ والمريض**. استقرّ هناك وانتظر النّهاية. غادر **الأب بُورفيريوس الدّير في ميليسي** وفي نيّته عدم العودة ثانية. لقد تكلّم بما

فيه الكفاية مع أبنائه الرّوحيين مُلمّحًا أحيانًا، وأحيانًا أخرى قائلًا لهم بصراحة: إنّه يراهم للمرة الأخيرة. قبل ذلك كان كلّما ذهب إلى الجبل المقدّس يحاول أولاده الرّوحيّون حمله على العودة إلى أثينا بسبب صحته الرّقيقة، وصعوبة العيش في **كافسوكاليفيا** أو لتعزيتهم، حتّى اضطر إلى العودة مرّتين، وكلّ مرّة لم يكن يبقى إلّا بضعة أيام ثم يسرع عائدًا إلى الجبل. آخر مرة غادر فيها، خشي أن يضطره أولاده إلى العودة خاصة أنّه اعتاد طيلة حياته أن يتمّم مشيئة الآخر لذلك قال لأحد تلاميذه: «إذا قلت لك أن تأخذني إلى أثينا، امنعني، لأنّ هذه ستكون تجربة من الشرير».

وبالفعل حاول العديد ترتيب عودته إلى أثينا، ولكنْ دون طائل. وشاء الرّب الإله أن يحقق **للقدّيس** رغبته بأن **يموت ميتة الأبرار في منتهى البساطة، وبعيدًا عن الأنظار مُحاطًا فقط بتلاميذه الّذين كانوا يُصلّون معه.**

في آخر ليلة من حياته الأرضية، ذهب **القدّيس** ليعترف بخطاياه ثم أخذ يردّد **صلاة يسوع** دون توقّف بصمت على الطريقة الهدوئية. قرأ تلاميذه المزمور الخمسين ومزامير أخرى ثم خدمة المُحتَضَرِينَ وأخذوا يصلّون صلاة يسوع معه حتّى أتموا قانون الاسكيم الكبير. بكثير من الحبّ قدّم له تلاميذه ما احتاجه من تعزية جسدية وروحية.

وللحظات طالت، سمعوه يتمتم صلاته إلى أن قال كلمته الأخيرة: «فلتكن مشيئتك». بعدها قال كلمة واحدة نجدها في رؤيا القدّيس يوحنّا في العهد الجديد: «**تعال**». وجاء محبوبه الرّب يسوع **ونقل روحه الطاهرة إلى السّماء**، كان ذلك في ٢ كانون الأوّل عام ١٩٩١ عند السّاعة ٤:٣١ صباحًا.

لُبِّسَ القدّيس على الطريقة الرّهبانية ونقل إلى **كنيسة كافسوكاليفيا**.

هناك بحسب التقليد قرأ الآباء الإنجيل المقدّس كلّ النّهار، وفي الليل أُقيمت سهرانية. كلّ شيء تمّ وفق توصيات **القدّيس** الّتي كتبها ليمنع الالتباس.

وفي صباح ٣ كانون الأوّل، دُفن **القديس** في **إسقيطه في كافسوكاليفيا** يحيط به عدد قليل من الرّهبان. عندها فقط تمّ إعلان وفاته كما أوصى.

سأل أحد المحررين الرئيس جورج دبليو بوش، اثناء حملة الانتخابات (فبراير ٢٠٠٠) عمن يكون أعظم فيلسوف – فأجاب: «يسوع المسيح هو أعظم فيلسوف عرفه التاريخ البشري، هو أعظم فيلسوف لأنه استطاع أن يُغيِّر قلبي».

قال أرنست بلوخ الفيلسوف الألماني: ليست تعاليم الموعظة على الجبل هي التي جعلت المسيحية تقهر الوثنية الرومانية، ولكن الاعتقاد بأن يسوع قد قام من بين الأموات هو الذي قهرها. تنافس أعضاء مجلس الشيوخ الروماني الحصول على مطامع السلطة – كانت المسيحية تنافس على الحياة الأبدية.

ظهور عجيب للقدّيس بُورفيريوس.

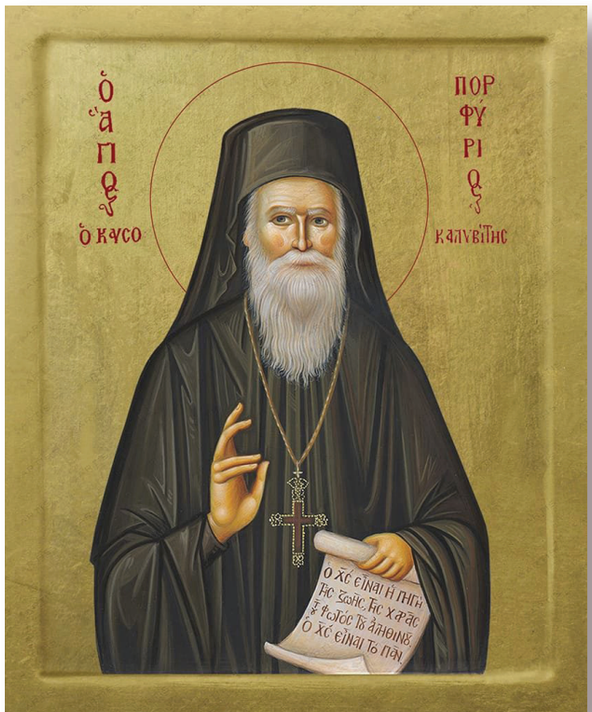

تروي الرّاهبة «بُورفيريّا» في كتابها حول **القدّيس بُورفيريوس** عن ظهور عجائبيّ للقدّيس، مشيرةً بوضوح إلى أنّ الحياة تستمرّ بعد الموت، وذلك كي لا نفقد الرّجاء بالرّبّ الإله الكليّ القدرة، والقائم من بين الأموات.

وهذه إحدى تلك الظهورات روتها سائقة سيارة أجرة من «**أثينا**»:

كانت السّاعة الثّانية بعد الظهر في ساحة «**أثينا**». أوقفني الضّوء الأحمر عند الإشارة. فإذا برجل يقترب من السّيارة ويسألني: «هل تستطيعين أن تقلّيني إلى «**مينيدي**»؟». فأجبته: «**لا، لا أستطيع**». لأنّه كان يجب عليّ أن أكون في «**بيريوس**» عند السّاعة الثّالثة.

وقف الرّجل قبالتي وكان ينتظر سيّارة أجرة أخرى. شيءٌ في داخلي قال لي إنّه ينبغي عليّ أن أساعده. فأومأتُ إليه كي يصعد. وما إن دخل السّيّارة حتّى صرخ: «**مستحيل!**»... أخذ صورة **الشّيخ بُورفيريوس** (الّتي كانت معلّقة في سيّارتي). أمسكها بكفّيه وقبّلها بحرارة. في تلك اللّحظة تغيّر ضوء الإشارة وتوجّهت ناحية «**مينيدي**». أردت أن آخذ الصّورة من يده، ولكنّي عندما نظرت إلى الحنان الّذي كان في عينَي ذلك الرّجل، وَتَوْقِهِ إلى تقبيلها ندمت وتراجعت عن فكرتي.

سألني: «هل سبق لَكِ أن التقَيتِ هذا الرّجل؟».

– «كلا، ولكنّي تعرّفتُ إليه من خلال الكتب الّتي قرأتها عنه وأحببته كثيرًا».

– أترغبين، يا سيّدتي، أن تسمعي ما أعرفه عنه؟.

– طبعًا، أجبتهُ بفرح.

– لقد شَخّصَ الأطبّاء عند زوجتي **سرطانًا خبيثًا خَطِرًا للغاية**، وأعطوها ثلاثة أشهر لتعيش. خلال ذلك الوقت كان ابني البكر قد أنهى البكالوريا واتفق مع عشرة أصدقاء له على الذّهاب إلى **جبل آثوس** وتمضية أسبوعٍ هناك. وافقنا أنا وزوجتي على تلك الرّحلة فانطلق. ولكن ازدادت حالة زوجتي سوءًا، وقال لنا الطّبيب الّذي كان يعالجها إنّ النّهاية قريبة. فسألناه بلهفة إذا كانت توجد أيّة وسيلة لنربح المزيد من الوقت. فكان جوابه أنّه باستطاعته القيام بعملية جراحيّة لها، والله معيننا لأنّه يجهل النّتيجة. قبلنا طرح الطّبيب لأنّ زوجتي رغبت في أن ترى ابنها عند عودته قبل رحيلها.

عاد ولدي من **الجبل** فَرِحًا جَذِلًا للغاية كما لم نره من قبل. وكان يصف لنا جمال المكان هناك، وكم كان استقبال الرّهبان لهم حارًّا وحدّثنا عن السّلام الّذي اخترق قلبه. قال لنا إنّه أحسّ بحضور الله لدرجة أنّه نسي أنّ والدته مريضة مُشرفة على الموت. وروى لنا أمورًا عجيبة عن **الشّيخ بُورفيريوس** بدت لنا غير قابلة للتّصديق.

وهنا قاطعته: «سامحني ولكن متى حصل ذلك؟».

– عام ١٩٩٦... روى لنا ابننا أنّه كان جالسًا مع رفاقه تحت شجرة يتحدّثون ويقهقهون عندما اقترب منهم راهبٌ مسنّ. فوقفوا وقبّلوا يدَه وبدأ **الشّيخ** يباركهم كُلًّا باسمه... وباستطاعتكِ أن تتصوّري مدى دهشة الشّبّان، إذ كان **الشّيخ** يعرف أسماءهم وأسماء عائلاتهم. وقد قال لابني: «قُل لوالدتك ألّا تُجري العمليّة، لأنّها ستتحسّن حالتها». فسأله الشّاب: «أتعرفُها؟» – «أعرفُها وأعرفكم كلّكم!» – «من أنت؟.» – «**أنا الشّيخ بُورفيريوس**». قال هذا وغادرهم. وعند عودتهم من **الجبل المقدّس** توقّفوا في «**أورانوبوليس**» عند صيدليّة لأنّهم كانوا مصابين بغثيان البحر. هناك رأوا صورةً **للشّيخ بُورفيريوس**، فقالوا لصاحب الصّيدليّة: «هذا هو الشّيخ بُورفيريوس الّذي قابلناه في الجبل المقدّس!»... فتحيّر الصّيدلانيّ عند سماعه هذا، وقال لهم: «سامحوني يا أولادي، هل رأيتم الشّيخ في الجبل المقدّس؟!... هل أنتم متأكّدون؟» – «بالطّبع نحن متأكّدون، كلّنا تكلّمنا معه وقد أذهلنا عندما نادانا بأسمائنا وأسماء عائلاتنا، وإذ سألناه عن اسمه قال لنا إنّه الشّيخ بُورفيريوس».

– «يا أولادي سامحوني، إنّي متأكّدٌ أنّكم رأيتموه ولكن... لا تخافوا ممّا سأقوله لكم... إنّ **الشّيخ** رقد منذ خمس سنين!!». وإذ أنهى ابني الحديث على هذا النّحو، لم نصدّقه أنا وزوجتي بل ظننّا أنّه لا بدّ أن يكون قد رأى شيخًا آخر، إذ إنّ كلّ الرّهبان في **الجبل المقدّس** يشبهون بعضهم البعض.

ولكنّ الصّبيّ أصرّ: «ألَا تصدّقونني؟!... على كلّ حال يجب ألّا تُجرى العمليّة الجراحيّة لأنّي أمي ستتحسن حالها!».

بعد يومَين ذهبنا إلى المستشفى. وفي صباح اليوم التّالي أُدخلت زوجتي إلى غرفة العمليّات، وكنت أنتظرها في الخارج قَلِقًا. وما هي إلّا لحظات حتّى خرجت زوجتي فهرعتُ إليها وقلت لها: «ماذا جرى؟». أجابتني: «لن تُجرى لي عمليّة جراحيّة... لأنّ حالي قد تحسّنت!».

فاستدرتُ نحو الطّبيب وسألته: «ماذا حصل أيّها الطّبيب؟». قال لي: «لا أعرف، لأنّ زوجتك لا تريد أن تُجري العمليّة!». وهنا تدخّلت زوجتي قائلةً لي: «قُلتُ لكَ إنّ حالي تحسّنت!».

– يا عزيزتي هل جُنِنْتِ؟... وأخذتها بين ذراعَي محاولًا إقناعها.

لكنّها أصرّت: «قُلتُ لك إنّ حالي تحسّنت...دعنا نُجري الفحوصات، لنتأكّد وسترى أنّي أصبحت في حالٍ أفضل... إنّي أشعر بذلك!».

فقال الطّبيب: «حسنًا!. لا نجبرها إن كانت تشعر بتحسّن».

– ألا تصدقونني؟!... حسنًا!... فلنُجرِ الفحوصات اللّازمة لنتأكّد!.

وبالفعل أُجريت الفحوصات وجاء الطّبيب في اليوم التّالي ليبلّغنا النّتيجة، وكان وجهه جادًا للغاية. فسألته بقلقٍ: «ما هي النّتائج؟». فكان جوابه: «...كأنّها لم تمرض البتّة!!!»... وكان ينظر إلى الفحوصات القديمة ويقارنها بالجديدة ويتعجّب، كمن فقد صوابه!...ويقول: «مستحيل!!»... وطلب أن تُجرى لها فحوصات مرّة أُخرى في اليوم التّالي. بعد قليل وصل ابني إلى المستشفى وعرف أنّ الطّبيب طلب فحوصات جديدة فقال لي: «لماذا لا تُصدّق ما قاله لي الشّيخ بُورفيريوس في الجبل المقدّس؟». فانتبه الطّبيب للأمر وسأل: «ماذا قُلتَ؟. هل ذكرتَ الشّيخ بُورفيريوس؟!».

فأجابه ابني: «لقد قال لي إنّ أمّي ستتحسّن ويجب ألّا تُجرى لها عمليّة». إذ ذاك أخرج الطّبيب من جيبه صورةً للشّيخ وسأل الصّبيّ: «هل رأيت هذا الرّجل في الجبل المقدّس يا بنيّ؟».

– نعم هذا هو!.

– إذًا الفحوصات صحيحة!. وزوجتُكَ بخير، والآن بإمكانكم أن تغادروا بسلام... هيا اذهبوا واستعدّوا للعودة إلى المنزل!".

لقد أعطى الطّبيب زوجتي ثلاثة أشهرٍ لتعيش. والآن قد مضى سنتان وحالها أفضل ممّا كانت قبل مرضها!!. لهذا فإنّي أُجلُّ الشّيخ بُورفيريوس كثيرًا وأحبّه حبًّا جمًّا، وإنّنا قمنا بزيارة ديره مرّاتٍ عديدة... وكلّما اشتدّت الصّعاب علينا فإنّه يقوّينا ويشدّدنا».

أخيرًا وصلنا إلى «**مينيدي**» وترجّل هذا الرّاكب «المُرسل من الله» وإنّي لم أجد كلمات أصفُ بها شعوري، غير أنّني تمتمت بامتنانٍ: «شكرًا جزيلاً! والمجدُ لله على كلّ شيء».

من أقوال الأب بُورفيريوس الرائيّ – إعداد راهبات دير مار يعقوب الفارسي المقطّع – ددة، الكورة

* جابِهْ كلّ الأمور بمحبّة، بطيبة، بوداعة، بصبر وتواضع. كن دومًا كالصخر الذي يمرّ فوقه الموج ثمّ يعود ثانية من حيث أتى. كن ثابتًا غير متزعزع. قد تتساءل هل هذا ممكن يا أبانا؟! نعم بنعمة الله هذا ممكن. أمّا إذا جابهنا الأمور بقوانا البشريّة، طبعًا سيكون هذا غير ممكن.

* لا تتّخذ موقفًا معاديًا ضدّ من يجدّف على الله. أبغض أقوالهم وأفعالهم. وأمّا هم فأحبّهم كبشر ضعفاء وصلِّ من أجلهم.

* أحبب الجميع وخاصّة أولئك الذين يسبّبون لك المتاعب. أظهِرْ لهم المحبّة بكلّ بساطة دون أن يشعروا بأنّك مُجبَر لتحبّهم أو لتتحمّلهم.

* التذمّر من الآخرين يؤذي نفسك بالدرجة الأولى، لأنّه لا يدعك تصلّي بارتياح. والروح القدس لا يقترب أبدًا من نفس متذمرة ولا يسكن فيها.

* أيّها المسيح أنت حيّ. أنا لا أفكّر بالموت. أنا أودّ أن أفكّر فقط بالمسيح. افتحوا أيديكم وارتموا في أحضان المسيح، وعندئذ سوف يحيا هو داخلكم. ازدروا الأهواء ولا تهتمّوا **للشيطان**. التفتوا فقط نحو المسيح. ولكي يتمّ هذا اطلبوا أوّلًا نعمته.

* وجّهوا أذهانكم دومًا نحو العلاء، نحو المسيح. اعملوا مع المسيح، عيشوا مع المسيح، تنفّسوا المسيح، تألّموا مع المسيح وافرحوا أيضًا معه. ليكن المسيح كلّ شيء بالنسبة إليكم. المسيح هو عروس نفوسكم، هو أبوكم، هو كلّ شيء. لا يوجد أمر أسمى في هذه الحياة من محبّة المسيح. المسيح كلّه فرح، كلّه غبطة. النفس السكرى بمحبّة المسيح هي دومًا فرحة وسعيدة مهما واجهت من أتعاب وبذلت من تضحيات.

* نحن سعداء بقدر ما نحبّ كلّ البشر، وعندئذ سوف نشعر بأنّ الكلّ أيضًا يبادلوننا الحبّ. لا يستطيع أحد أن يصل إلى الله إن لم يمرّ أوّلًا بالبشر.

* لا يستطيع المسيح أن يحبّنا إن لم نكن نحن أهلًا لهذه المحبّة. لكي يحبّنا المسيح يجب أن يرى داخلنا شيئًا مميّزًا. هيّئ نفسك دومًا لاكتساب ما يحبّ المسيح أن تملكه داخلك. وما هو هذا الشيء؟ إنّه التواضع. إن لم نملك التواضع لا نستطيع أن نحبّ المسيح.

* لا يستطيع أحد أن يعلّمك الصلاة، لا الكتب ولا الأب الروحيّ ولا أحد. الأستاذ الوحيد للصلاة هو النعمة الإلهيّة. فقط الروح القدس هو الذي يعلّم الصلاة. إن لم تدخل في جو النعمة فلا تستطيع أن تُصلّي.

* لا تنشغلوا باقتلاع أشواك نفوسكم، بل وجّهوا كلّ قواكم الداخليّة نحو عمل الصلاح، نحو المسيح، والأشواك سوف تنقلع من نفسها. **(هنا يريدنا الأب القدّيس أن نوجّه جهادنا نحو الإيجابيّات لا نحو السلبيّات)**.

* إنّ طريقة الجهاد الأكثر ضمانة وسهولة هي طريق المحبّة. لا ترهقوا أنفسكم بطرد الظلام منها. يكفي أن تفتحوا ثقبًا صغيرًا داخلكم ليدخل نور المسيح، فيتلاشى الظلام حالًا. وهذا ما يحصل مع ضعفاتنا وأهوائنا، ازدروها واحتقروا الشرّ، والتفتوا فقط نحو المسيح. جاهدوا ببساطة وبدون عصبيّة أو تشنّج. وجّهوا كلّ قواكم إلى اقتناء محبّة المسيح وإلى الالتصاق به، وهكذا يتحوّل الشرّ في داخلكم خيرًا بشكل سرّيّ، دون أن تعلموا كيف وحتى دون أن تتعبوا. اقرأوا الكتب المقدّسة، رتّلوا ورنّموا المزامير وقوانين الكتب الكنسيّة، وهكذا يتّجه الفكر تلقائيًّا نحو المسيح، وَتَحِلُّ الحلاوة الإلٰهيّة في القلب.

ربّي

امنحني أن أمكث معك لكي أستقر وأستريح فيك. لكي أطمئنّ إلى وجودي بك، لكي تقودني لآتي إليك. ساعدني لأثبّت قدميّ على صخرتك. امكثْ معي، وَنَجِّني من المخاطر التي تحيق بي لأني اعتمدتُ على اسمك. فأنا غريب في هذه الحياة، ضيف عابر يمرّ، لا مَبِيْتَ له. فاجعلْ لي من ثروتك عونًا لي في السفر لئلا أتعوّق عن الوصول إليك. جدِّد قِواي لأكمل طريقي نحوك.

دعوتَني فها أنا أتوسّل إليك، خذني إلى ما وعدتني به. أنعِشْ فيّ شوق العودة إليك، لأن زمن حياتي سباق إلى الموت يلاحقني. فامنحني أن أسير على خطاك أتّبعك حيث تسير، فأعود إلى نفسي، ولا أتخبّط في ظلماتي. لأن أيامي ملأى بالتعب والعرق والفساد. كوّنتها بجسارتي حين تخليّت عنك، قبلتُ ظلمات الجهل وقيود الموت، أنتظر شروق نورك عليّ لأعود عن ضلالي.

فَابْسُطْ إليّ ذراعك وشدّني صوبك، وانتقمْ لي من خطاياي، دافع عني أمام خصمي حتّى أتحرر من الأفكار الشريرة، وأظفر على عدوي وأرتاح من سهامه الملتهبة ضدي. فتختم آثار جراحي لأني رزحت تحت وطأة الاثم، شوّهتُ نفسي وبعتها إلى الإثم، وقبضتُ ثمنها لذّة عابرة وموتًا أكيدًا وحياةً دنسة.

لذلك أريدك أن تحررني من أسري وتمنحني ما أسألك: كنْ حياتي! أطِلْ أناتَك ورحمتَك عليّ فَأَطْمَئِنَّ. استدركْ حياتي بنظرة منك، لأن في نفسي ألماً يعذّبني ويقضّ عليّ مضجعي. فكيف آتي إليك؟ أو كيف أدعوك إليّ؟

أتوسّل إليك لأني عاجز عن أن أنزع من قلبي ما يمنعك. فكيف لي أن أدعوك لكي تدخل؟ شيئًا سألتك راجيًا أن أناله منك. أللهمّ اذكرني بحسب رحمتك. أتمنّى أن تأتيني حسب وعدك. لأني سأعتذر لمَن جبلَني ونسيتُه، ولمَن مات عنّي ولم أسمع له. أيّ عذاب أستحق، أو كيف ستكون مراحمه عليّ، إن لم أتُب. إنّي أعرف أنك طبيبي، لأنه ليس فيّ عافية رجوتك فاشفِني. اتركْ لي ديوني. رحمتك ضرورية لي. لقد هربت وها أنا أعود باحثًا بعد أن خرجتُ من سجن الموت. أبحثُ لكي تعفيني.

صغير أنا. فاسترني بظل جناحيك، لأني قلق من همّ خطيئتي. فكيف سأذهب إلى النار بدونك، كيف سأحتمل إن لم تكن حمايتي؟ لأنك بذاتك صرتَ لي طريقَ خلاص أسافر عليه وأسلكه فلا أضلّ، ولا أعثر ولا أقع. بل افتحْ لي بابك الذي أوصدته بوجهي لسوء أخلاقي، حتى تبعد عني متاعب الحياة وتخففها، وتؤدي بي إلى الخلاص والحياة. لأني كنت تائهًا أبحث عنك بعيدًا عنك. فانزع عني ما تشاء ولا تتخلَّ عني. كنْ ميراثي فإني بحاجة إليك. لأني في أرض الأموات، وأنا راحل عنها لا أعرف إلى أين أرحل، كيف أتوجّه، أخشى أن أتوه وألّا أجد ملجأ أعود إليه، لأن بيتي سقط خرابًا في غيابك.

أكلت خبز الدموع لفقدانك، وصارت نفسي في اليبوسة والجفاف قاحلة أمامك. فتعثّرت في سيري وتأخرتُ في الوصول، وجنحتُ نحو هاوية سحيقة. ففاتني مجدك ولم أستطع أن ألتقي بك. حُرِمت عونك ومساعدتك. فخسرت كلّ ما اقتنيتُه منك، خسرت صداقتك، واعتدت الخطأ ودُفِنتُ في أغلال عادته.

فكم من حواجز تمنعني من المثول أمامك؟ لم أجد راحةً في غيابك. هل ستفوز عيناي بعذوبة تأمّل سعادتك، لأني أجهل ما ستكون نهايتي. هل سأفوز بالجلوس بقربك وتقبيل قدميّ إلهي، والتخلّص من عبء الماضي لأن القلق الدائم يلازمني والغصّة لا تفارقني لأني محروم من قُربِك.

فامنحِ السلامَ للسائل المُتَضَرِّع الجريح القلب بالإثم. يحملني شوقي للخلاص إلى أن أدعوك. انظر إنّ جهلي يقف عثرة في طريقي، فاعتنِ بي، لأني اسيرُ عاريًا في هذه الطريق، مريضًا أبكي وأنتحب لأني أبحث عن الحياة الحقيقية التي فيك ومنك، وأتألّم من غربتي. أحاول أن أجدّ السعي للوصول إلى الوطن هربًا من منفاي.

رجوتك **ربّي** أنا الواقف ببابك، الفقير المستعطي أَنِ ٱفتحْ لي. دعني أمرّ في هذا الطريق الموصِل إلى الحياة الأبدية. دعني أعبر ولو بقربك فأشعر بوجودك، لأني تَعِبٌ. أشهد رحيلَك أبحث عن الطريق التي سلكتَ وأحصي خطواتك في سفرك. أحاول أن أتبعك لتحيي الأمل في داخلي في أعماقي وفي كياني.

هبْني ألّا أخشى بعد اليوم رحيلَك، بل يكون حضورك دائمًا في داخلي. رجائي بكليّته قائم على رحمتك الواسعة.

لك المجد يا إلهي.

توبوا فقد اقترب ملكوت السموات

الأب أنطوان ملكي

أول عظة قالها السيِّد للشعب، من بعد معموديته، كانت «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» (متى ٤: ١٧)، فهو يدعوهم للتوبة وهذا أمرٌ أساسيّ في حياتنا. يقول إشعياء النبي «اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا.» (سفر إشعياء ٩: ٢)، فهل من ارتباط بين التوبة والنور؟ طبعًا، لأن النُّور الحقيقيّ هو الذي يأتي من **المسيح** الذي لا نعرفه من دون توبة.

فالتوبة كما يعرّفها **الآباء القديسون** هي «تغيير الذهن أو العقل». التوبة ليست الندامة وحسب بل هي **تغيير الذهن وطريقة التفكير، التوقّف عن التفكير بالخطيئة والبدء بالتفكير بالأمور الصالحة**، فهكذا يكون تغيير الذهن عن التفكير **بالشر** للتفكير **بالأعمال الصالحة**، هذا هو الشكل الحقيقي للتوبة. إذًا التوبة ليست حالة نفسية أو عصبية، ليست أن يتوتّر الإنسان ويصرخ «قد تبت، قد تبت»، بل هي بناء الذات، أي أن يعود لذاته ويبنيها بناءً صالحًا، لا أن يبكي وَيُعْوِل أو أن يعاتب نفسه. هي تغيير الذهن لإصلاح الحياة، لإصلاح الذّات والتحول إلى إنسان جديد.

التائب هو الذي لا ينظر إلى الوراء، بل إلى فوق إلى **الله المحب البشر**. التوبة هي عودة إلى النُّور، هي عبور من **الظلمة إلى النور**. إذا كان الإنسان **غارقًا في الظلمة** سيحتاج إلى **نور** كي يفضح نفسه ويكشفها فيراها على حقيقتها، يرى أهواءها، ويرى خطاياها. لكن عن أي نور نتكلم؟ عن **نور المسيح**، الذي أخذه الجميع يوم المعمودية، لكن أمَا يزال مشتعلًا فينا؟ أمَا زال يُنير الظلمة التي دخلنا فيها بسبب خطايانا؟ كل إنسان مُعمّد لديه نور المسيح، وخصوصًا مَن يشترك بجسد المسيح ودمه، أما الذي لا يشترك بهما فلا يُغَذِّي هذا النور بل يدعه ينطفئ. الإنسان التائب هو الذي يهيئ نفسه لاتقاد النور في داخله.

أن يتوب الإنسان مُغَيِّرًا ذهنه عن الخطيئة، مُصلحًا ذاته، مُوجهًا عقله نحو السماء، نحو الله، هو هدف التوبة، عندها يكتشف أنه **ابن لله، ابن النور، والمسيح** يدعوه ليكون ابنًا للنور. لن يشتعل النور الحقيقي، الذي بداخله من يوم المعمودية، بدون التوبة، فيمكن أن يكون هذا النور عند أي مسيحي خامِدًا ولكنه سيكون مُتقدًا عند التائب فيقدسه. **نور الرب هو الذي يُطَهِّر**.

ما علاقة النور بالتوبة؟ كي نتوب يجب أن يدخل فينا النور، وما دمنا معتمدين فنحن نملك هذا النور. لكن ما نتائج التوبة؟ من نتائج التوبة أن يسكن فينا نور المسيح، وينضح منّا هذا النور. هذه هي علاقة النور بالتوبة، علاقة متبادلة، أي إن تاب الإنسان سيحصل على النور الحقيقي، ومن جهة أخرى بدون النور لن تُكشف خطاياه، ولن يستطيع أن يتوب توبة حقيقية مُغَيِّرًا ذهنه ومُصْلِحًا ذاته، مُطهّرًا إيَّاها ناظرًا لفوق إلى العلى إلى الملكوت السماوي.

الإنسان التائب هو الإنسان الذي يمتلك حياة جديدة ملؤها السلام والمحبة والتواضع، وبالنهاية يكون الملء من روح الله، هذا هو **هدف الإنسان المسيحي الحقيقي الذي يسعى لملكوت السموات**. التوبة ليست عملًا مؤقتًا، بل هي عمل مستمر حتى نهاية العمر، أي لا يمكننا القول أننا تبنا اليوم فقد خَلُصْنَا، طبعًا لا، ومن ناحية أخرى إن لم نكن تائبين العمر كله فلن نخلص، ولن نحصل على النور الحقيقي ولا على ملكوت السموات. يدعونا المسيح أن نكون من أهل التوبة لأننا سنخلص بها «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» (متى ٤: ١٧) أي لا تنوحوا، لا تبكوا، بل غيّروا أنفسكم وطريقة تفكيركم وحياتكم، فالمعتاد على عدم الصوم فليصُم، والمعتاد على الكفر فليكفّ عنه، والمعتاد على الكذب فليتمسّك بالصدق، عندها تكون التوبة قد بدأت، والقلب يتّسع لسكنى المسيح ويصير مُفيضًا للنور **فيتمّ الخلاص**.

الشيخ سرجيوس الذي في فاف (Vanves)

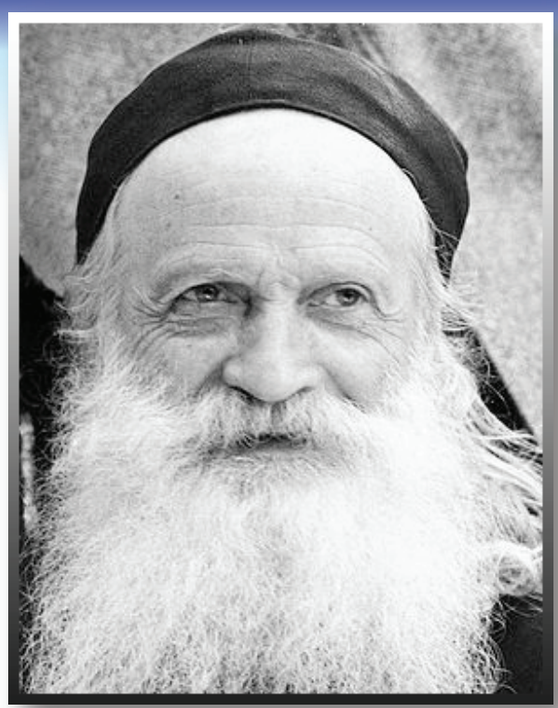

كان **الشيخ سرجيوس** الذي في فاف أحد الشخصيات الأكثر موهبةً في القرن العشرين في أوروبا الغربية. وُلد في هولندا سنة ١٩٠٣ لكنه قضى غالبية حياته في **فاف** (Vanves) التي هي إحدى ضواحي باريس. كان تلميذًا روحيًا للشيخ خاريطن آخر رئيس لدير برلعام قبل أن **أغلقه الشيوعيون**.

صحيح أن **الشيخ سرجيوس** قضى حياته في بلد ليس فيه إلَّا القليل من الأرثوذكسيين، إلَّا إنَّ تعليمه كان كثير المنفعة لأبنائه الروحيين في أوروبا الغربية العلمانية. كان رجلًا اجتمعت فيه تقاليد برلعام القديمة مع الغرب ما بعد المسيحي. كان أبًا روحيًا لعدد من الأشخاص اللامعين في القرن العشرين ومنهم **فلاديمير لوسكي ونيقولا برداييف** وراسم الايقونات **الراهب غريغوري كروغ**.

الشيخ سرجيوس كان مغمورًا بروحانية الشرق الأرثوذكسي المنيرة. من أعماله أنه جمع كتاب «**فن الصلاة**». كان على اتصال مباشر **بالقديس سلوان الأثوسي** وقد أخذ في قلبه كلماته الأخيرة له: «**اذهب وأخبر الناس على قدر استطاعتك: توبوا**».

في فرنسا كان المجاهدون من أجل الأرثوذكسية قليلين واللامبالاة بالدين كبيرة. إرشاداته لأبنائه الروحيين نافعة جدًا لنا، نحن الذين نشترك معهم بالعيش في **المجتمع الدهري**، إذ هو يحمل شهادة لتقاليد الآباء. يذكّرنا **الشيخ** بأن **الله** ليس خيارًا في حياتنا. إن أردنا الحياة فليس بإمكاننا أن نوقف الصلاة كما أنه لا يمكننا أن نوقف التنفّس. إنه يعلّمنا أن عالمنا، بالرغم من أنه يقدّم لنا الكثير من وسائل الراحة والرفاهية، وبالرغم من أن علم النفس يقدّم الكثير للتخلص من اضطراباتنا، يبقى أنه ما من سبب لاستمراريتنا سوى الله وما من شافٍ لجراحنا النفسية إلَّا الله، وما من حافز للعيش إن لم يكن هناك **أبدية**.

الصلاة

لا ينبغي أن تعتمد الصلاة على مزاجنا أو نيتنا الطيبة. إذا كُنا في حال محدَّد، فهو أننا **ممتلئون بالخطايا**. لذا علينا أن نتوب. كل يوم افحصوا ضميركم وتوبوا. اجبروا أنفسكم على الصلاة يوميًا. إن لم تريدوا ذلك، فعليكم أن تتوبوا على هذا. يجب أن تفهموا مدى ضرورة هذا الأمر. اعلموا أن **الشيطان** يتربّص ويريد أن يبيد نفوسكم، وأنكم دومًا في خطر. وحدها الصلاة تمنح نفوسكم القوة للمقاومة.

لكي تربّوا عضلات روحية، عليكم أن تذهبوا إلى النادي الروحي.

لا ينبغي أن تتحوّل الصلاة إلى طقس بالمعنى السيء للكلمة. وإن صارت عندنا طقسًا، فعلينا أن نتوب عن ذلك. يجب أن تكون الصلاة منتظمة بشكل مطلَق. تمامًا كما يسقط الماء على صخرة وشيئًا فشيئًا يقطعها، كذلك الصلاة تخترق نفوسكم.

من خلال صلاة يسوع، يدخل فكركم في قلبكم. إن الصلاة تتيح لنا أن نفهم الأمور بقلبنا.

صلاة يسوع من دون اتضاع هي كارثة.

* * * * * * * * *

التوبة:

التوبة هي بداية ووسط ونهاية الحياة الروحية.

هناك نوعان من التوبة:

١) عن خطيئة محدَّدة و٢) عن حالة الخطيئة عامةً.

النوع الأول هو الأكثر حيوية.

هناك ثلاث مراحل نحو التوبة عن خطايا محدَّدة.

١) التوبة عن الخطيئة في الفكر دون أن نرتكب الخطيئة.

٢) في آخر النهار، عندما نفحص ضمائرنا، نتذكّر الخطيئة ونطلب من الله المغفرة مُجددًا.

٣) اعترف بخطيئتك وتُبْ عنها في سرِّ الاعتراف.

المرحلة الأولى تتيح لنا الحصول على المغفرة من الله، عندما نتعامل مع خطايانا الأخف وأفكارنا غير الطاهرة. إذا جاءك **فكر شر** وتبت

عنه بالرغبة في أن تفكر أو تعمل بخلافه، فإن خطيئتك تُمحى مباشرة.

للتوبة في آخر كل يوم أهمية كبرى. في هذا الوقت علينا أن نشرَع بنقد روحي لكل ما قمنا به في ذلك اليوم، مراجعين **الشرّ والخير** اللذين قمنا بهما. بعد تفحصنا لضمائرنا علينا أن نطلب المغفرة من الله بإخلاص وندامة عن كل ما لم نكن فيه مخلِصين لله. يجب أن تكون ضمائرنا حادّة حتى أننا في كل ليلة يمكننا أن نتفحّص ذواتنا وما قمنا به خلال النهار، وأن نتوقف عند ما قمنا به من الخطأ، أيّ خير لم نعمله، وما هو الذي عملناه بشكل سيء. من ثم يجب أن نطلب المغفرة من الله على كل هذه الأشياء.

اثبتوا دائمًا في التوبة، ليس لأنكم بالضرورة قد قمتم بعمل خاطئ بل لأن طبائعنا ضعيفة. علينا أن نتوب على ما نحن عليه. عندما نتوب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ليس ما قمنا به خطأً وحسب، بل كل الخير الذي لم نقم به.

الاعتراف أمام كاهن، أي المرحلة الثالثة، ملزِمة لأنها تؤهّلنا لتلافي البقاء مُثقَلين نفسيًا وروحيًا بالخطايا التي اقترفناها في الماضي.

النوع الثاني من التوبة يتعلّق بشخصيتنا. هناك خطايا كثيرة لا نعيها وصارت جزءًا من طبائعنا. في الاعتراف، يجب أن نسأل الله: «اغفر خطاياي التي لا أعرفها والتي من دون وعي».

يجب أن نتوب عن كل فَشَلنا وقلة كفاءتنا. لا ينبغي أن نعطي أنفسنا أعذارًا، إذ لا يوجد أي سبب خارجي يمكن أن يبرّر ضعفاتنا.

التوبة ضرورية للجميع إذ لا يوجد إنسان من **دون خطيئة**. مَن يعتقد أنه غير خاطئ يعيش في الوهم. التوبة هي موقف داخلي من **خوف الله**، **وذِكر الموت** وقبل كل شيء **التواضع**. إنها مفتاح الحياة الروحية.

يفضّل الله شخصًا يخطأ ويتوب على شخص يظن أنه لا يَخْطَأُ أبدًا ولا يتوب.

الذين لم يتوبوا منذ زمان، عليهم أن يطلبوا الغفران من الله على قدر توبتهم. يعرف الله جهادنا الخاطئ وحالتنا القابلة للموت وهو يغفر برحمة لامتناهية للذين يتوبون باستمرار.

إن موقفنا من ملكوت السماوات يجب أن يكون كمثل مسافر لا ينبغي به أن يكون مذعورًا من كل ما عليه فعله، عند وصوله إلى مقصده، بل عليه أن يتابع مخططًا لرحلته الحالية. علينا أن ندرك أننا لا نعرف متى يأتي القطار الذي سوف يأخذنا إلى الملكوت، حتى نكون مستعدين عند مجيئه. علينا أن نكون مثل العذارى العاقلات وأن نحمل الزيت دائمًا في مصابيحنا. علينا أن لا نعتقد أن حالتنا الساقطة غير قابلة للإصلاح. بل أن نكون على ثقة بأن دائمًا هناك مغفرة لنا. كل ما نحتاجه للغفران هو أن نطلبه.

التوبة كحالة دائمة هي حالة المسيحي الثابتة، وهي حالة جميع القديسين. لذا علينا أن نسعى نحو هذا الهدف بكل قدرتنا وبكل صلواتنا. ومن ثمّ سوف تكشف ذاتها لنا كقوة خارقة من التقدّم الروحي.

التوبة هي مفتاح الحياة الروحية. إنها تؤهّلنا للباس العرس الذي من دونه نُطرَح خارجًا.

مثل العشر عذارى

خمسٌ عاقلات، وخمسٌ جاهلات

«عِندَئِذٍ يكون مَثَلُ مَلكوتِ السَّمَواتِ كَمَثَلِ عَشْرِ عَذارى أَخَذنَ مَصابيحَهُنَّ وخَرَجنَ لِلِقاءِ العَريس، خَمسٌ مِنهُنَّ جاهِلات، وخَمسٌ عاقِلات. فأَخذَتِ الجاهِلاتُ مَصابيحَهُنَّ ولَم يَأخُذنَ مَعَهُنَّ زَيتاً. وأَمَّا العاقِلات، فَأَخَذنَ مَعَ مَصابيحِهِنَّ زَيتاً في آنِية. وأَبطَأَ العَريس، فنَعَسنَ جَميعاً ونِمْنَ. وعِندَ نِصْفِ اللَّيلِ، عَلا الصِّياح: «هُوذا العَريس! فَاخرُجْنَ لِلِقائِه!» فقامَ أُولئِكَ العَذارى جميعاً وهَيَّأنَ مَصابيحَهُنَّ.

فَقالتِ الجاهِلاتُ لِلعاقِلات: «أَعطينَنا مِن زَيتِكُنَّ، فإِنَّ مَصابيحَنا تَنطَفِئ». فأَجابَتِ العاقِلات: «لَعَلَّه غَيرُ كافٍ لَنا ولَكُنَّ، فَالأَولى أَن تَذهَبنَ إِلى الباعَةِ وتَشْتَرِينَ لَكُنَّ». وبينَما هُنَّ ذاهِباتٍ لِيَشتَرِينَ، وَصَلَ العَريس، فدخَلَت مَعَه المُستَعِدَّاتُ إِلى رَدهَةِ العُرْس وأُغلِقَ الباب. وجاءَت آخِرَ الأَمرِ سائرُ العَذارى فقُلنَ: «يا ربّ، يا ربّ، اِفتَحْ لَنا». فأَجاب: "الحَقَّ أَقولُ لَكُنَّ: إِنِّي لا أَعرِفُكُنَّ!»

فَاسهَروا إِذاً، لأَنَّكم لا تَعلَمونَ اليومَ ولا السَّاعة». (متى ٢٥: ١ – ١٣).

مختارات

من أقوال المطران سرجيوس (براغ)

† الإنسان مخلوق للسعادة، وفقط من خلال الانتصارات اليومية، يمكنه أن يحصل على الفرح، والحالة التي تجلب النور إليه وإلى كل الآخرين.

† كل الحياة هي في العلاقات بين الأشخاص. علينا أن ننير هذه العلاقات بنور حقيقة المسيح.

† إن كان هناك سلام في النفس، فذاك الفرح لا يُنتَزَع أبدًا. غياب السلام لا يجلب السعادة.

† الحياة هي عمل عظيم. علينا أن نتعلّم أن نسلك بحكمة في المسيح، ومن ثمّ كل ما هو حولنا يصير له معنى ويكتسب قيمة للأبدية.

† كل انتصار على الخطيئة هو انتصار على ذواتنا، وعلى الآخرين من أجل الفهم المشترك لحياة كل الناس.

† إن رعاية الإنسان الداخلي لا تتم في عالم الجهادات المذهلة، بل في الحياة اليومية.

† إن وجود السعادة في الحياة يكمن في وجود حياتنا الروحية. مهما كانت أشكال الحياة جميلة، لن يكتسب الإنسان السعادة الحقيقية ما لم **يغلب الخطيئة** في نفسه.

† ليست المسألة في تفاهتنا، بل في عدم رغبتنا بتحمل المسؤولية.

† البشر هم أزهار الله، ونحن مثل النحل علينا أن نعرف كيف نجمع العسل من هذه الأزهار، لإغناء ذواتنا بشخصيات الآخرين وكشف شخصياتنا لهم.

† هناك جمال في كل شخص، **وخطيئتنا** وحدها هي ما يمنعنا عن رؤيته.

† حياة الجماعة هي هبة من الله، وفي حال لم نكن اجتماعِيِّي النزعة فإن تغيير أنفسنا لنصير محبين للاختلاط بالناس هو عمل نسكي، من أجل أن نكمّل فقر شخصياتنا.

† علينا أن نجد الكنز المخبّأ في كل قلب. غالبًا ما يبحث الناس عن الكنوز، لكن ليس عن كنوز النفس. لكننا بحاجة لأن نسعى إلى كنوز النفس. قد يتساءل البعض ما الداعي؟ ونجيب: لكي نصير أغنياء.

† إن مهمتنا تكمن في توجيه انتباهنا لا إلى الخارج بل للبحث في أنفسنا وفي الآخرين عما عندنا من الله.

† إن نفوسنا مخلوقة للأبدية، لكننا لا نعيرها أي اهتمام بالمطلق. نحن نجاهد لنكسب كل الكنوز الممكنة، ما عدا كنوز الأبدية. نحن تجّار فقراء، نضع **سعرًا رخيصًا لنفوسنا**.

† إن مهمة المسيحي المباشرة هي تحقيق الحياة الإلهية على الأرض.

† من المستحيل إيجاد الصلاح إن لم نمشِ على درب المسيح. فقط باتّباع المسيح يجد المرء صلاحه الذاتي.

† ليست الحياة الإلهية مثالًا نظريًا، بل ضرورة عملية.

† إن الوحدة بين الناس، هي الخيط الممتد من الأرض إلى السماء، إلى الله، إلى المركز الموحّد. الوحدة الممتدة من قلب إلى آخر هي موجّهة إلى مركز واحد، **الله**. لأن الوحدة بين الناس هي **الحياة** بينما الانقسام هو **الموت**.

† مع الخطيئة، يكون الإنسان خائفًا من الإنسان الآخر، ولا يخطو ببهجة على الأرض. يفتكر في نفسه كيف يتهرّب من لقاء هذا أو ذاك... عندما يغلب الخطيئة، يقدر الإنسان أن يقترب من الآخر ويصيبه بالصلاح.

† علينا أن نعرف كيف ننير علاقاتنا المتبادلة بنور حقيقة المسيح، حتّى نجلب الصلاح إلى هذه العلاقات. في بحثنا عمّا هو مشترك بيننا من الله، نصير مشاركين لله في العمل على الأرض.

† **ما هو من الله هو الصلاح الحقيقي** هنا على الأرض، إنه الفرح بالروح القدس. ومن ثمّ تُفتح لنا الحياة السماوية.

هل أعضاء الكنيسة هم الوحيدون الذين يتقبّلون نعمة الله، أم ممكن أن يكون هناك نعمة خارج الكنيسة؟ هل المسيحيون الأرثوذكس فقط هم الذين يَخْلُصون؟ قبل أن نعالج هذه الأسئلة، فلنشرح بإيجاز ما هي النعمة. «النعمة هي الطاقة الإلهية غير المخلوقة، أو قوة الثالوث الأقدس المعطاة لنا من الله الآب عَبْرَ الله الابن بالله الروح القدس». الثالوث القدّوس يعمل دائمًا في الخلق بعمل مشترك. بدون نعمة الله لا يوجد خلاص، ولا حياة روحية، ولا حياة أبدية. على الرغم من أن النعمة بسيطة وواحدة، إلَّا أنها تمنح هبات مختلفة للذين يشتركون فيها، وهذا يتوقف على حاجة كل واحد منهم، وعلى درجة تَقَبُّل الإنسان لها. إننا نشارك بنعمة الله بشكل أساسي، وإن لم يكن حصريًا، من خلال الأسرار المقدسة، خاصة من خلال المعمودية والمناولة المقدسة، ومن خلال الحياة النُّسْكِيةِ وفي المقام الأول الصلاة.

النعمة هي **هبة الله للإنسان**، وتشمل الوجود والحياة والعقل والخلاص. بحسب تعليم **القديس غريغوريوس بالاماس**، الخليقة بأكملها تشترك في قوى الله المقدسة. كل شيء يشارك في قوة الله الخلاقة (الكائنات الجامدة). بعض الكائنات تشارك أيضًا في قوى الله المحرِّكة (الكائنات الحية). وعلاوة على ذلك، بعض الكائنات تشارك في قوى الله التي تمنح العقل (كائنات ذكية، بشر وملائكة). أخيرًا «لا أحد من الملائكة غير الذين احتفظوا برتبتهم، ولا أحد بين البشر غير الذين عادوا إلى الكرامة الفائقة، للطبيعة الممنوحة من العلى إلى الكائنات العقلية، يشاركون أيضًا في قوة الله ونعمته» (القديسون والملائكة). هذه النعمة الأخيرة هي النعمة التي نتحدث عنها هنا.

هل توجد هذه النعمة المخلِّصةُ المقدِسةُ والمُؤَلِّهةُ خارج الكنيسة؟

بحسب تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، نحصل على نعمة الله فقط في الكنيسة، إذ خارج الكنيسة التي هي جسد المسيح، لا توجد النعمة المقدِّسة، – **النعمة التي من خلالها نحصل على الخلاص، أو الاتحاد مع الله** – والتي توجد فقط في تابوت الخلاص، الكنيسة المقدَّسة، جسد المسيح الإلهي البشري، لأن المسيح هو مخلصنا وخلاصنا. لقد عبّر **القديس كبريانوس القرطاجي** عن موقف الكنيسة بشكل قاطع: «**لا خلاص خارج الكنيسة** (Extra ecclesiam nulla sulus)».

هل كل الذين هم خارج الكنيسة ملعونون؟ أبدًا. في محاولتهم شرح كيف يكون هذا الأمر ممكنًا، يعطي بعض اللاهوتيين جوابًا يتضارب مع الإيمان بوحدانية الكنيسة وتفردها وهو أمر ذو نتائج مدمّرة.

وقد عبّر **القديس أثناسيوس الكبير** عن الموقف الأرثوذكسي في شرحه **لماذا لم يخلّص الله الإنسان** من خلال أمر أو عمل إرادة، فيقول: إنه لم يتصرف بهذه الطريقة لأنه وإن كان سيُثبِت قوته، فإن الإنسان كان سيصير كما كان آدم قبل السقوط. «**كان من الممكن إن النعمة التي سيتلقاها ستكون خارجية وغير مندمجة في جسمه**». هذا التمييز بين الخارجي والداخلي، هو المفتاح لفهم كيف يمكن أن يكون الخلاص خارج الكنيسة. يقدّم **القديس ذياذوخوس أسقف فوتيكي** (القرن الخامس)، استنادًا إلى القديس أثناسيوس، شرحًا أكثر مُبَاشَرَةً: «قبل المعمودية، تُشجّع **النعمة** النفس نحو البِرِّ من الخارج، بينما **الشيطان** يتربّص في قعرها، محاولًا صدّ كل طرق العقل للاقتراب من الإلٰهي. ولكن من لحظة إعادة ولادتنا بالمعمودية، يصير **الشيطان** خارجًا، **والنعمة** في الداخل. وهكذا، فيما قبل المعمودية يحكم **الخطأُ** النفسَ، فمن بعدها تحكمها **الحقيقة**».

تقدم لنا هذه المصطلحات الحل الصحيح لهذه المشكلة الشائكة. تعمل النعمة من الداخل فقط داخل جسد المسيح أي الكنيسة الأرثوذكسية. يولد الإنسان روحيًا من خلال المعمودية. تُزرَع النعمة وتنمو من خلال الأسرار المقدسة، ولا سيما **المناولة المقدسة**. إن غير المعَمَّدِين هم غير مولودين، لهذا لا تعمل النعمة فيهم من داخلهم. ولكن بقدر تلقّي الإنسان يمكنه أن يتفاعل مع نبضات الروح القُدُس الذي يعمل على كل الخليقة من خارج. «**ما كان لموسى والذي أشرق على وجهه بعد محادثته مع الله، حتى لم يستطع الرجال رؤيته من السطوع، كان الرسل يلبسونه في روحهم باستمرار وبدرجة أكبر**».

في شرحه للآية (٧: ٣٩) من يوحنا، «قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ.» يقول **القديس سيرافيم ساروفسكي**، أن هذا لا يعني أن روح الله لم يكن في العالم على الإطلاق، لكن وجوده لم يكن واضحًا كما في آدم أو فينا نحن المسيحيين الأرثوذكس. لقد كان يظهر خارجيًا فقط؛ ومع ذلك كانت علامات وجوده في العالم معروفة للبشرية... نعمة الروح القُدُس التي كانت تعمل خارجيًا تنعكس في كل **أنبياء العهد القديم وقديسي إسرائيل**... وإن لم تكن بنفس القوة كما في شعب الله، إلَّا أنَّ حضور روح الله عمل أيضًا في الوثنيين الذين لم يعرفوا الله الحقيقي، لأنه حتى بينهم وجد الله لنفسه أناسًا مختارين.

في النهاية، يلخّص **الاستاذ فيداس** الموقف الأرثوذكسي من النعمة والخلاص خارج الكنيسة: «يعلّم التقليد الآبائي أن المسيح بمجمل عمله الخلاصي هو مصدر كل النعمة الإلهية، والروح القُدُس هو معطيها، ومفعّل النعمة الإلهية هو المؤمن». كما يضيف: «**التقليد الأرثوذكسي، بقبوله أن الروح القُدُس هو معطي النعمة الإلهية التي تنبع من عمل المسيح الخلاصي، لا يعترف بفعالية النعمة الإلهية خارج الحدود القانونية للكنيسة الأرثوذكسية**».

كثيرًا ما تكرَّر، على مدى القرون الماضية، بأن الناس أغوتهم النظريات الفلسفية، والمشاريع الاقتصادية والنظم الاجتماعية، فنسوا **الله وأعلنوا الاستقلال عنه**. إذ نتعثر بوعود السعادة الأرضية، ونتكرّس للسعي خلف السلع المادية، ليس لدينا لا القوة ولا الرغبة لرفع رؤوسنا من غبار طبيعتنا القاتلة، والنظر إلى أبينا السماوي. وحتى عندما نكون عالقين في المستنقع المستمر من المشاكل المتعدِّدة، ونسمع الآخرين يقولون بسلطة بأنّ الأزمة ليست اقتصادية، بل هي أساسًا أزمة أخلاق وروحانية، فإننا نرفض عمليًا تحويل هذه الموافقة إلى أفعال من شأنها أن تجلب **قيامتنا الروحية، وتوقف الانحدار الفوضوي نحو المزيد من التعاسة**.

وعلاوة على ذلك، بما أن كل واحد منا يسعى إلى ما هو أفضل له شخصيًا، فإننا نقصر ذواتنا على المسائل الشخصية، ولا نبالي بشؤون المجتمع والبلد وإخوتنا... نعتقد أن رعاية المصالح الذاتية هي واجبنا الوحيد، ونتصرّف وكأننا مركز كلّ شيء. وفي النهاية، نتوصل إلى استنتاج مفاده **أن آراءنا وحدها ونظرياتنا هي الصحيحة والدقيقة**. هذا يكمّل **عملية عبادة الذات عندنا**، وهي عملية مختلفة جدًا عن **طريقة التألّه بالنعمة التي يدعونا إليها المسيح**.

وقت الصلاة:

يشير مثل الفريسي والعشّار إلى بداية أكثر فترات السنة روحانية، وقت إعدادنا **للفصح**، أعظم أعياد الكنيسة. هذه الفترة تأخذ اسمها من الكتاب الليتورجي، **تريوديون**، لأن استخدامه يبدأ في الغروب مساء يوم الأحد الذي فيه يُقرأ المثل، ويمتد إلى سهرانية يوم السبت العظيم. وبالتالي فإن هذه الفترة هي فترة صلاة تصاعدية، من حيث الكمية والنوعية.

ولأن هذا الوقت هو بالضبط مناسبة لصلاة وحماسة أكثف. فالكنيسة تبدؤه بتعليم المسيح نفسه عن كيفية إرضاء الله بصلاتنا. ويأتي هذا التعليم في قصة، في هذا المثل الأنفع عن الفريسي والعشار، الذي تمّ تحليله على نطاق واسع على مرّ القرون، وأثار الكثير من النقاش والتفكير.

إن سِمَتَهُ الرئيسية هي الملاحظة البسيطة للمخاطر الروحية التي تبدّد الصلاة وتجعلها **إهانة للروح القُدُس**، أو بل والأسوأ من ذلك، تدنيس المقدسات. ففي الوقت نفسه، يشير الرب إلى الطريقة التي بها تَصِلُ الصلاة إلى عرش الله، وتكون مرضية له، وتجلب نعمة لأولئك الذين يصلّون ويطأون طريق القداسة والتمجيد.

«كان يصلي لنفسه»

يبدو الأمر وكأن ناس هذه الأيام كانوا في بال المسيح عندما وصف الفريسي قبل ألفي سنة. ومن الواضح، وبدون تنميق كلمات، أن المسيح يشدّد على أنه رغم وجود الفريسي في المعبد، فإنه لم يكن يصلّي إلى الله، **بل لنفسه، التي كان يعبدها**. هذا يفسر صلاته، التي كانت مفعمة بالغرور والخُيَلاءِ. «**أنا كامل**»؛ كل شخص آخر عنده الكثير من العيوب. «أنا أفعل ما عليّ، بل أكثر من ذلك؛ لا يفعل الآخرون ما عليهم، وهم مسؤولون عن كل العِلَلِ في العالم. أنا لا أرتكب أخطاءً ولا أخطئ أبدًا؛ الآخرون مملؤون بالخطيئة، هم دائمًا على خطأ، والأسوأ من ذلك كله، أنهم لا يعترفون بأنني متفوق عليهم». لا شيء عن احتمال مملكة السماء، لا شيء عن إمكانية الأبدية، لا إشارة إلى الآب وغيره من الناس، لا بل بالأحرى، فصل عام للآب واشمئزاز تجاه الآخرين، أو حتى أسوأ من ذلك، إدانة قوية للآب بسبب جميع أخطاء الناس الآخرين، الذين لا يمكن اعتبارهم بأي حال من الأحوال إخوة وأخوات.

لطالما صلّى الناس دائمًا. ومع ذلك، فإن المشكلة هي لمَن يوجهون صلاتهم. وهذه المشكلة واضحة بشكل خاص هذه الأيام، إذ يتوجّه معظم الناس **نحو أنفسهم** وليس **نحو الله**. إنهم يحاولون إيجاد حلولهم الخاصة للمشاكل والمصاعب والضيقات، معتمدين فقط على حُكمهم وعلى ما قد يكون لديهم من قدرات، في وقت لا يثقون فيه بالآخرين. كل ما يحققونه من خلال هذا، هو رفع الجدران التي تعزلهم عن الله ، وغيرهم من الناس والتي تحاصرهم في **الوحدة واليأس**.

لقد أصبح زماننا **مدمّرًا**. نحن نُشَجّع على الاعتقاد بذاتنا غير الكاملة والضعيفة وحسب. نحن محرومون من خيار الحياة الروحية، كما من الاعتماد على الله ومحبته. نحن محاصرون في «الهُنا والآن»، ومثقلون بالمشاكل الشائكة، حتى نتورّط فيها باستمرار، ونضيّع الوقت من حياتنا ونُحرَم من الاتصال بمصدر الحياة وسبب وجودنا . في كل هذا، هناك حلّ واحد فقط من شأنه أن يتوفّر لنا: **الركوع على ركبتينا أمام الأيقونات، بندامة العشّار وتوبته، مصلّين** «يا الله ارحمني أنا الخاطئ».

عظمة الكاهن

إعداد راهبات
دير مار يعقوب
الفارسي
– دده، الكورة

✝... إنّ الكاهن في اشتراكه المتواتر بسرّ الشكر، يُمنح نعمة الله بدون حدود، وعلى الجميع أن يأخذوا منه نعمة الله الغزيرة، وعليه هو أن يسعى جاهدًا إلى أن تمتدّ نعمة الله أكثر فأكثر وألّا يحتفظ بها لنفسه.

✝ الكاهن يتألّم لأجل العالم بأسره. يصير كلّ شيء للكلّ .

✝ ما نقاوة شفتي الكاهن اللتين بهما يلفظ دومًا الاسم القدّوس، اسم الآب والابن والروح القدس! ما نقاوة القلب حتّى يحوي حلاوة هذا الاسم المجيد وبهاءه ويشعر بهما!

✝ كم عليه أن يبتعد بشكل قطعيّ **عن كلّ شهوة جسديّة**، ولا يسمح لها بأن تصير جسدًا، حيث روح الله لا يمكن أن يقيم .

✝ كيف يمكن لكاهن **أن يهتمّ بملذّات أرضيّة** عندما تكون حاجته الملحّة **هي إلى الله**، وسعادته الوحيدة هي فيه؟

✝ ما هي **الملذّات الأرضيّة بالنسبة إلى كاهن** عندما يجب عليه أن يكون باستمرار في الكنيسة **لأجل الخدمة وأمام مذبح الله** ؟

✝ الكاهن، كملاك الله العليّ، عليه أن يرتفع عن كلّ هوى، وكلّ شهوة وكلّ باطل، فهذه من **أعمال الشيطان**. عليه أن يكون متّحدًا عمليًّا بالله.

✝ إيّاه وحده يحبّ، وإيّاه وحده يخاف. **أمّا خوف البشر** فدلالة على عدم تسليمه الكلّيّ لله.

✝ الكاهن إنسان عظيم وسامٍ أثناء احتفاله بالخدم اليوميّة، وعلى نحو خاصّ أثناء إتمامه سرّ الشكر. منحه الله سلطة عظيمة.

✝ هو كلّيّ الاقتدار، وباستطاعته أن يدافع أمام الله عن العالم بأسره

✝ الكاهن الذي يتمّم القدّاس الإلهيّ **بدون استحقاق** هو **يهوذا آخر، وسيعذَّب في نار الجحيم الأبديّ أكثر من ذاك.**

✝ القلب النقيّ الغريب عن كلّ انجذاب أرضيّ، الذي على الكاهن امتلاكه لأجل أن يكون إناء للمحبّة الإلهيّة، للمحبّة المقدّسة، للمحبّة الملتهبة تجاه الجنس البشريّ كلّه. على الكاهن أن يكون ملاكًا عديم الأهواء، سماويًّا بالكلّيّة، شعلة محبّة لله وللناس .

✝ الكاهن وسيط بين **الله والناس**. إنّه الصديق الأقرب إلى الله! كأنّما هو الله بالنسبة إلى البشر، ممنوحًا السلطة لغفران الخطايا ومحو الذنوب، وإقامة الأسرار المُحْيِيَةِ الرهيبة التي بها يتألّه هو والآخرون. **(القدّيس يوحنّا كرونشتادت)**.

✝ مَنْ هذا الإنسان العظيم؟ هذا الكاهن! تراه دائمًا في حديث مع الله، والله دومًا يستجيب له! في كلّ خدمة، في كلّ صلاة يتحدّث مع الله، والله في كلّ خدمة وكلّ صلاة يستجيب له. الكاهن ملاك وليس إنسانًا.

✝ نفس الكاهن يجب أن تكون أنقى من أشعّة الشمس حتى يمكن للروح أن يسكن فيها.

✝ ويجب أن يكرّر القول دائمًا مع بولس المغبوط «لست أنا أحيا بل المسيح يحيا فيّ» (غلا٢:٢٠). **(القدّيس يوحنّا الذهبيّ الفم)**.

✝ بقدر ما يُصلّي الكاهن للعالم أثناء الذبيحة الإلهيّة، بقدر ما يُرحَم هو من الله. **(الأب جرمانوس القبرصيّ)**.

✝ الكهنوت هو تقديس النفوس، يصل الإنسان بالله والله بالإنسان. هو سرّ نكرّمه، ولا نقدر أن نفسّره **(القدّيس غريغوريوس الكبير)**.

✝ حتى ولو كان الكاهن مهتمًّا بأن تكون حياته مقدّسة، وهو لا يهتمّ بخلاص نفوس الذين يسمعونه، **سيعذَّب في النار الأبديّة كزانٍ فاسق (القدّيس مكسيموس المعترف)**.

✝ اخشَ الربّ بكلّ نفسك وكرّمْ كهنته. أحبب صانعك بكلّ قوّتك ولا تهمل خدّامه، اتّقِ الربّ وأكرم الكاهن **(ابن سيراخ ٧:٢٩–٣١)**.

حدث مرّة أن أراد أحد الأساقفة أن يتفقّد أبرشيّته المترامية الأطراف. وأثناء تجواله وصل إلى قرية بعيدة جدًّا. فسأل عن كاهنها، فقيل له إنّه يعمل في الأرض.

وبعد فترة وجيزة حضر الكاهن، فوجد الأسقف أمامه رجلًا بسيطًا يتصبّب عرقًا وثيابه موحلة، فلم يبد الأسقف ارتياحًا لمنظر الكاهن هذا ولكنّه لزم الصمت.

وفي اليوم الثاني أراد الأسقف أن يحتفل مع الكاهن بالذبيحة الإلهية واثقًا بأنّ هذا الكاهن لا بُدّ أن يقع في أخطاء لا عدّ لها، لذا راح يراقبه مراقبة شديدة مسمّرًا عينيه عليه. ولكن يا للعجب العجاب ماذا رأى الأسقف؟!

الكاهن متوشّح بالنور الإلهيّ منذ اللحظة التي بدأ بها الخدمة وحتى نهايتها. وما إن انتهى الكاهن من توزيع الخبز المقدّس على المؤمنين حتى انطرح الأسقف على قدمي الكاهن طالبًا أن يباركه.

فأجابه الكاهن: كيف يمكن أن يبارِك الأصغرُ الأكبرَ؟ أنت باركني أيّها السيّد. فردّ الأسقف بكلّ تأثّر: وكيف أبارك من لفّه النور الإلهيّ؟ باركني أيّها الأب.

فأجاب الكاهن مستغربًا: وهل يوجد أيّها السيّد أسقف أو كاهن أو حتى شمامسٌ لا يلفّه النور الإلهيّ أثناء الخدمة. وهنا لاذ الأسقف بالصمت أمام هذا التوبيخ اللطيف، وأمام بساطة الكاهن ونقاء قلبه.

وهكذا غادر الأسقف القرية وهو ممتلئ خشوعًا وفائدة روحيّة.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

سوتوس
خوندروبولوس

الجزء الثالث ✝ الفصل الثاني ✝.

«وَأَيَّةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثَانِ؟ فَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ هَيْكَلُ اللهِ الْحَيِّ، كَمَا قَالَ اللهُ:«إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. » (٢كو ٦:١٦).

وفي صباح اليوم التالي دُعِيَ الطلاب إلى الصالة الكبرى التي كانت تُستعمل للحفلات، وكان أمين السرّ العام يتغي تقديم المدير الجديد. وكان بعضهم من أثينا والبعض الآخر من الجزُر أو من تسّاليا، أو من سميرنا أو حتى من كريت، إلّا أنَّ غالبيتهم كانوا من زاغور اخوريا ومن يانَنا، أي من مسقط رأس المُؤَسِّسَيْن **مانتوس وجورج ريزاريس**.

– لقد وصل الأسقف – الراهب! انتبهوا يجب ان نقضيَ عليه!

واجاب آخرون:

– انه يبدو صارمًا، لكن هذا لن يطول!.

وبعد قليل دخل أمين السرّ مصحوبًا باستاذَيْن وبالمدير العام الجديد إلى الصالة التي كانت ممتلئة بالجبّات وبالصراخ. ووقف الطلاب، فتحرّكت الجبّات محدثة حفيفًا.

وبعد الصلاة المعتادة تكلّم أمين السرّ قائلًا:

– يا طلّاب مدرسة طَيِّبَي الذكر **مانتوس وجورج**، انا اليوم سعيدٌ جدًّا لأن مدرستنا تستقبل مديرها العام الجديد الذي وصَلَ الينا البارحة. ومنذ الآن سوف يتسلَّم **سيادته نكتاريوس، متروبوليت المدن الخمس السابق** مهماته العليا. وهو كاهن جدير، تقيّ ومثقف، وصاحب مؤلفات لاهوتية عدة. وقد كلَّفني مكتب المجلس الطَلَب اليكم ان تكونوا اهلًا لروحانية مثل هذا المعلّم، وأن تؤدّوا لسيادته الاحترام الكبير والطاعة والمحبة. إلّا أن سيادته يرغب منذ الآن بالتحدث إليكم والتعرُّفِ بكم.

عندها ركَّزَ **نكتاريوس** نظرَهُ الوديع على حوالي مئة وأربعين شابًا يرتدون الجبّات السوداء. وكانت أيديهم تتحرك في الخفية، وهم يدفعون بعضهم بعضًا بالمرافق. ويدوسون على أقدام بعضهم البعض مُحْدِثين جلبة عامة.

وبدأ **نكتاريوس** كلامه ببطء قائلًا: « يا أولادي، يا أولادي، انها لسعادة كبيرة لي أن أكون بينكم. فأباشر عملي بخوف الله في مجال تربيتكم المقدّسة. وأعِدكم بأن أفعل كل ما في وسعي من أجل تقدّمكم الروحي وتحقيق آمال ذويكم والمؤسِّسَيْنِ الطَّيِبَي الذِّكْرِ اللذين وُلِدا من السماء، وكذلك آمال أمّتنا النبيلة بأسرها». وعلى أثر هذه الكلمات سُمِعَت ضحكة مكتومة وَعَلَتِ الضّجة. فاحمرَّ وجه أمين السرّ وتجهّم، وبدت منه حركة وكأنه ينوي اقتحام الصّالة.

لكن المدير الجديد تابع بهدوء ومن دون أن يخرج عن طوره!

– يا اولادي، إنَّ إكليروس الغد سيكون مكوّنًا من كل واحدٍ منكم، أي أنكم ستؤلفون العنصر الأهم في تاريخ بلادنا المعذّبة وحياتها. افتخروا يا أولادي بالثوب الذي تلبسونه، وصلُّوا من أعماق القلب إلى ربِّنا ومخلِّصنا حتى يجعلكم أهلًا لأن تُصبحوا في المستقبل القيّمين على كنيسته، وأهلًا لتعيروا ايديكم للرب العليّ أمام مذبحه المقدَّس من أجل إتمام الذبيحة المرهوبة وغير الدمويّة، ولإتمام سرّ الجلجلة الإلهي والاحتفال به.

«إنَّ كل أعمال الناس واهتماماتهم المهنية تبدأ وتنتهي على هذه الأرض، وادي الدموع، فوق أرضنا العجوز المخضّبة بالدم والمرتجفة من الألم. أما عملكم أنتم فليس هو مهنة، وهو ليس مؤقتًا؛ انه مهمة تبدأ هنا على الأرض وتتواصل في السماء، في وسط الطغمات الملائكيّة. فأرجوكم أن تُعيروا كلماتي البسيطة الانتباه، وأن تَدَعُوا نفوسكم الفتية تُحلِّق نحو الحقائق الأبدية، نحو الحقيقة الوحيدة والمجيدة، حقيقة إنجيلنا المقدّس».

في هذه اللحظات بالذّات توقف الضجيج واختفت الابتسامات فتابع:

– «يا أولادي، علينا أيضًا أن نفخر بكوننا أعضاء مسيحية الشرق القديمة، الأرثوذكسيّة التي لا تُقهَر. إنَّ الأرثوذكسيّة هي كنزنا، ولؤلؤتنا الثمينة، والنور الذي لا يَغْرُب. وإذا فقدنا هذا الكنز فإنّنا سنتبدَّد كغمامة من غبار في أرجاء الأفق، فتختفي أمّتنا وسُلالتنا. وسوفَ أعمل في الدروس القادمة التي سأعطيكم إيّاها بمعونة الله، على التوسّع في الأوجه المخفيّة لهذا الكنز الذي لا يُثَمَّن، فتفهمون أهميته غير المتناهية وقيمته كلها. أما اليوم فسأكتفي بالكلام بسرعة عن بعض الأمور الصغيرة، خلال لقائنا الأول الذي نتعرّف فيه على بعضنا. إن حياة الإنسان يا أولادي هي كلوحة تطريز بيضاء تحدّها بداية ونهاية وجودنا. وأما ما سوف تمثّله هذه اللوحة في نهاية المطاف، فيتوقف علينا. ومن خلاله يمكننا أن نتعرّف إلى الإنسان الذي استطاع أن يملأ اللوحة بالأعمال الجيدة التي يرضَى الله عنها، ذلك الإنسان الذي سوف يُظهر للأجيال القادمة أعمالًا نزيهة وخالدة بفضل قوّته وإرادته وخصوصًا صبره. في كل يوم ترسم يداك وتحيك النسيج عقدة بعد عقدة. فإذا أحسنّا شكّ الإبرة، وكان الخيط مناسبًا واللون جميلًا، فان العمل كله يسير باتجاه إرادة الله...».

الأرثوذكسيّة (٨٦)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبمعموديّة واحدة لمغفرة الخطايا
شرح لطقس المعموديّة (تتمة)

(١٠) الثياب الجديدة:

تُشير الثياب الجديدة التي يرتديها الطفل المُعَمَّد إلى الحياة الجديدة التي ننالها بعد أن: «دُفِنَّا مَعَهُ (الْمَسِيحِ) بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ» (رو٦:٤). اعتاد المؤمنون في الكنيسة الأولى أن **لا** يُلبِسُوا الطفل المُعَمَّد الملابس التي خلعها، إنَّما يلبَس ثوبًا أبيضَ جديدًا. يظلُّ الطفل مُرتديًا هذا الثوب طوال خِدمات أسبوع الفصح (كانت أغلب المعموديّات تتم في سبت النور). يُعَبِّر الثوب الأبيض عن نقاوة النفس التي اغتَسَلَت من الخطيّة، كما تُذَكِّرنا أيضًا بالثوب البهِيّ الذي ظهر به المسيح أثناء التجلّي. أصبح يوحَد الآن تشابه بين المُعَمَّد والرب المُتَجَلّي، لا بل إنَّه أكثَر من تشابه، إنَّ القديس بولس يسمِّيه **لبس المسيح**: «لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ» (غلاطية ٣:٢٦-٢٧)، «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا.» (٢كو ٥:١٧). المعموديّة شيء آخر يَفوقُ الاغتسال أو التطهير الخارجي. إنَّها تَحَوُّل جذري عميق. يُقَرِّر **القديس غريغوريوس النيصي** أنَّ الرداء الأبيض الذي يَرتَديه المُعَمَّد يرمز إلى رداء النور الذي كان يتَّشح به الإنسان قبل السقوط فيقول: «لقد أَخْرَجْتَنَا من الفردوس ثم دعَوْتَنَا ثانية. إنَّكَ أَبعدتَ أوراق شجرة التين التي هي رداء شقائنا، وألبستَنا ثانية رداء المجد».

ماذا يعني هذا الوجود الجديد؟ ماذا يعني بالضبط: «لِبس المسيح» هل هذا يعني أن شخصيَّة المُعَمَّد تذوب حتى تُشابه شخصيَّة آخرى وهي شخصيّة المسيح؟ طبعًا لا. إنَّه الله هو الذي منحنا شخصيَّتنا المستقلّة، وهو بالتأكيد لا يُريدنا أن نُهدمها بأن نجعلها تذوب بتقليد غير طبيعي في شخص آخر. أن: «نلبس المسح» يعني أن نكون كما نحن ولكن في المسيح، لا بأن نقلِّده ولكن بأن نوضحه ونُظهِره مِن خلال شخصيَّتنا الفريدة والمُمَيَّزة. عندما يحيا المسيح فينا، فهو الكفيل والضامِن أن تنمو شخصيَّتنا المُتميِّزة التي أعطانا الله وأن تزدَهر إلى كمالها.

(١١) إضاءة الشموع:

مهما بلَغَ الظلام والليل المحيط بنا، فإنَّ المعموديّة تظل هي سِرُّ الدخول إلى النور. إنَّها تفتح عَيني الروح لِتَرى المسيحَ نورَ العالم (يو١:١٩). وتجعلنا أبناء النور (١ تس٥:٥).

كان المُعَمَّد في الكنيسة الأولى يحتفظ دائمًا بشمعة المعموديَّة، وكان يُحضِرها معه إلى الكنيسة أيَّام الأعياد، وفي يوم تذكار عمَّاده، وفي قداس عيد القيامة المجيد. وإن تَزوَّج المُعَمَّد بعد أن يكبر كانت تُضَاء شمعة العُمَّاد في حفل زفافه. كذلك إن رُسِمَ المُعَمَّد كانت الشمعة تُضَاء يوم رسامته. وفي النَفَس الأخير وبينما الساعة المُحَتَّمة تقرب، كانت شمعة العماد تُضَاء بينما الروح تستعد لتذهب لتُقَابل الديَّان. شمعة العماد هي تذكار دائم مستمِر للمسيحي ليحيا ويموت في نور المسيح.

يمكن مقارنة شمعة العماد بالمصابيح المستخدَمة في مَثَل العَذارى الحكيمات المُنتَظِرَات مجيء العريس المسيح في ظلمة الليل. عندما يُعطَى المُعتَمِد حديثًا الشمعة المُضَاءة، فإنَّ هذا يحثّه على أن يُحافظ عليها إلى أن يُقَابِل المسيح عند مجيئة مثل العذارى الحكيمات اللواتي احتَفظنَ بمصابيحهنَّ مُضَاءةً عند مجيء العريس. بهذا فإنَّ الشمعة تُصبح رمزًا لمثابرة نفس المُعَمَّد إلى وقت مجيء المسيح.

كان من عادة اليونانيِّين القدامى أن الفائز في السباق، ليس فقط هو الذي يبلغ خطّ النهاية في أقصر وقت، ولكن أيضًا يَصِل إليه والشمعة التي يحملها لا تزال مُضَاءة.

ليتنا نحنُ أيضًا نَصِل إلى شاطىء الأبديّة ونور شمعة معموديَّتنا يظل مُضاءً مُتَوَهِجًا.

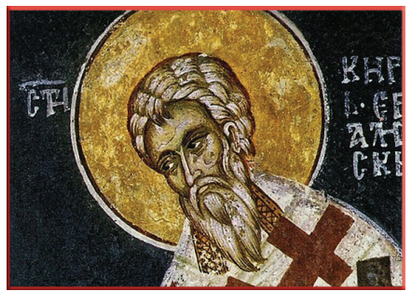

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السابعةَ عشرة «في الروح القدس» (تابع)

العظة السابعةَ عشرة
في الروح القُدس (تابع)

١٤– العماد في الروح القُدس:

نزل لِيُلبِسَ الرسلَ القوّةَ ويعمِّدَهُمْ، لأن الرب قال: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ» (اعمال ١:٥). ليست هذه نعمة جزئيّة بل هي القدرة بأكملها، لأنه كما أن الذي يغطس في المياه ويُعَمَّد، يغمره الماء من كل جانب، كذلك هُم عُمِّدُوا في الروح القُدُس كاملًا. ولكن بينما الماء يغمر الجسم من الخارج، فان الروح يعمِّد النفس من الداخل دون أن يترك فراغًا. ولماذا تستغرب؟ خُذ مثلًا ماديًا صغيرًا متواضعًا، مُفيدًا للناس البسطاء؛ اذا اخترقت النار سَمْكَ الحديد حتى باطنه، حوّلت الكلّ الى نار. فما كان باردًا يُصبح مُحرقًا، وما كان قاتمًا يُصبح لامعًا. فاذا كانت النار، وهي جسم، باختراقها الحديد، قامت بهذا العمل من دون عائق، فلماذا تستغرب من قدرة الروح القُدُس على الدخول الى باطن النفس؟

١٥– صوت من السماء وألسنة نارية:

وحتى لا تجهل عظمة النعمة النازلة، حدث صوت أشبه ببوق سماوي. «وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ» (اع٢:٢). مُعلِنًا مجيء الذي يمنح البشر قوّة اغتصاب ملكوت الله (متى ١١:١٢). وذلك لكي ترى الأعينُ الألسنة النارية، وتسمع الآذان الصوت. «وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ» (اع٢:٢)، وأصبح البيت أشبه بوعاء للماء الروحي. فامتلأ التلاميذ الذين كانوا جالسين فيه، وامتلأ البيت كلّه. وهكذا عُمِّدوا بأكملهم وفقًا للوعد؛ وأُلبِسُوا في الجسد وفي النفس ثوبًا إلهيًا خلاصيًا. «وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (اع ٢:٣–٤). تلقّوا نارًا لا تحرق، ولكنّها نار خلاصية تحرق أشواك الخطايا وتنير النفس. وهو الذي سيأتي إليكم الآن ويقتلع خطاياكم التي أشبه بأشواك ويحرقها. ويجعل كنوز نفوسكم أكثر لمعانًا ويمنحكم النعمة، لأنه سَبَقَ ومنحها للرسل. لقد استقرّ عليهم بشكل ألسنة نارية، لكي تتوّج رؤوسهم بتيجان روحية من نوعٍ جديد. في الماضي كان سيف من نار يحول دون اجتياز أبواب الفردوس؛ واليوم لسانٌ من نار خلاصي يستعيد النعمة.

١٦– هبة اللغات:

«وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا.» (اع ٢:٤). فكان **بطرس واندراوس الجليليَيْن** يتكلّمان الفارسية والمادية، وكان **يوحنا والرسل والآخرون** يتكلّمون كلّ لغة مستعملة بين الشعوب. لأنه ليس في أيامنا بدأت جماهير الغرباء تجتمع هنا، بل منذ ذلك الوقت. أيّ معلّم كبير في استطاعته أن يُعلِّم حشدًا كبيرًا أشياءَ لم يسبق لهم أن تعلّموها؟ لا بُد من دراسة قواعد اللغة والفنون سنوات طويلة حتى يمكن إجادة التحدّث باللغة اليونانية، وليس الكلّ يجيدون الحديث بها. فإذا كان الخطيب يُجيد الحديث بها، فإنَّ معلِّم قواعد اللغة لا يجيدها أحيانًا. والذي يعرف قواعد اللغة يجهل العلوم الفلسفيّة. ولكن الروح القُدُس يعلّم في آنٍ واحد عدّة لغات، كان يستحيل على هؤلاء الرجال أن يتعلّموها، وإن خصّصوا لها طيلة حياتهم. هذه هي الحكمة العُظمى، هذه هي القدرة الإلهية. أيّ وجه للمقارنة بين جهل أُولئك الذين قَضوا معظم حياتهم في الدرس، وهذا التَّدفُّق الفجائيّ العامّ المُذْهِل لشتى اللغات فجأة؟

١٧– دهشة اليهود:

فوقعت بلبلة في جمهور المستمعين (أعمال ٢:٦). وهذه ثاني بلبلة تحدث، مضادة للأولى الشريرة التي حدثت في بابل (تك١١:١–٩). وهناك بلبل الله ألسنَتهم لأنّ نيتهم كانت شريرة ضدّ الله؛ أما هنا، فكان المقصود منها توحيد الأفكار، إذ كان الدافع إليها صالحًا. وحيثُ حصلت المعصية هناك حصل التجديد. فدهش الناس وقالوا: «فَكَيْفَ نَسْمَعُ نَحْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لُغَتَهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا؟» (اعمال ٢:٨). لا عجب إن كنتم لا تعلمون، لأن نيقودمُس نفسه كان يجهل مجيء الروح؛ وقد قيل له: «اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ» (يو٨:٣). إن كنتُ حين أسمع صوته لا أعرف من أين يأتي، فكيف لي أن أفسِّر جوهره؟.